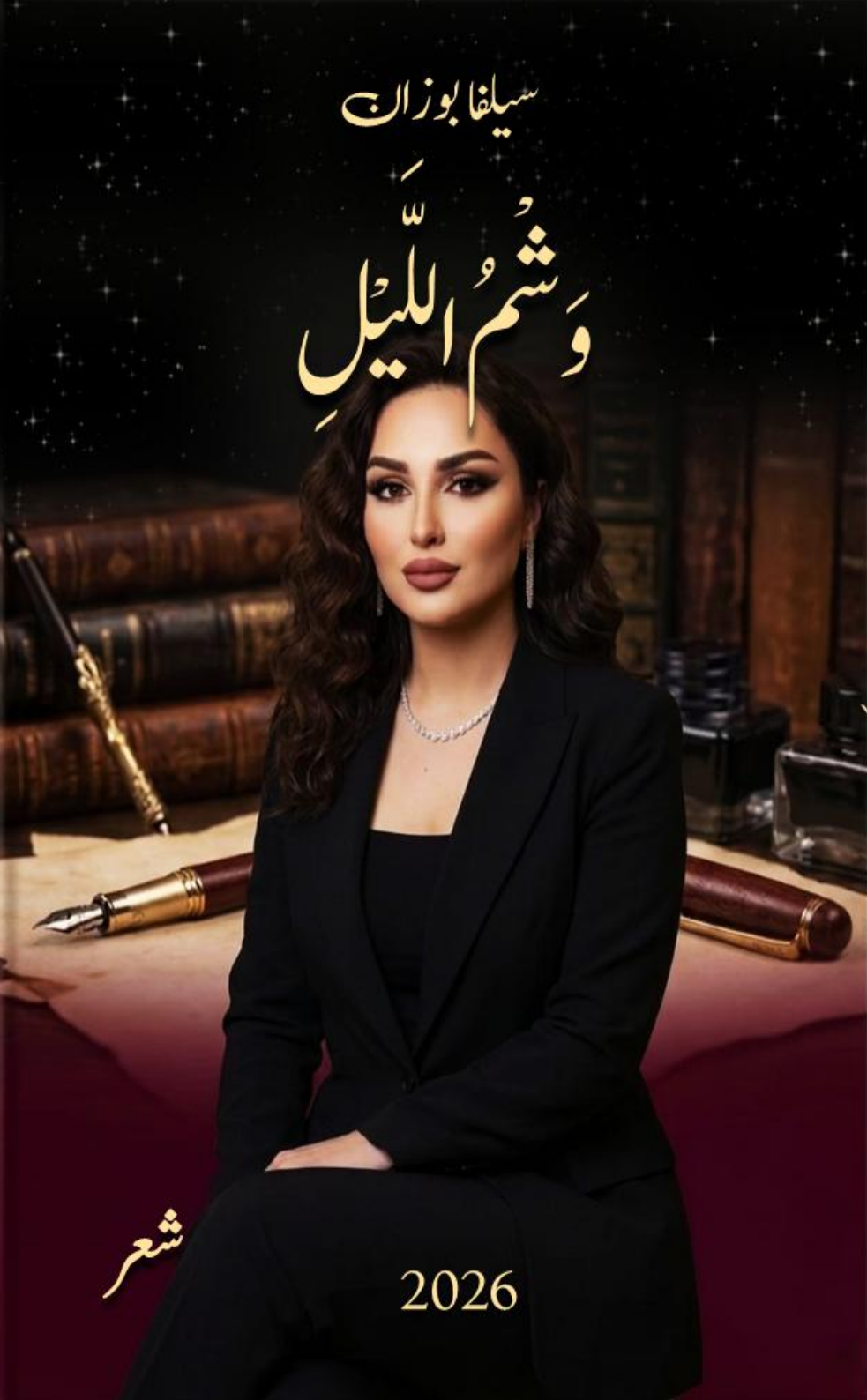

سيلفا بوزان

وَشمُ اللَّيلِ

شعر

2026

شعر

وَشْمُ اللَّيْلِ

سيلفا بوزان

٢٠٢٦

"أنا لستُ وطناً حين يهزم... بل أنينُ الليل، أحفرُ القصائدَ في ذاكرةِ الألم، وأعلقُ للنسيان جراحي."

الإهداء

إلى أبي وأمي...
أنتما سنابلُ ربيعِ عمري التي لا تنحني
ومن بين أياديكما
تعلمتُ أن الوقوفَ ليس نجاةً فقط... بل شكلٌ آخر من الحب
وأن الإنسان لا يولد كاملاً... بل يصاغُ من دعائكما.

المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	١١
١- منفى القلب الأخير	١٣
٢- اعترافاتُ أنثى مُحاصَرة	١٦
٣- ذاكرةٌ مثقَلةٌ بالوجع	١٩
٤- ما تبقّى منّي في الليل	٢٤
٥- قوافلُ الريح	٢٨
٦- أنا والليلُ صديقتان	٣٢
٧- وشمُ الليلِ	٣٦
٨- يتيمةُ الضوء	٣٨
٩- أنينُ الروح	٤١
١٠- كأنكِ أنا	٤٤
١١- بين اسمين لا يكتملان	٤٨
١٢- بين الرصاص والقصيدة	٥١
١٣- عشقتُ الليل	٥٥
١٤- مُشْتَاقَة	٥٨
١٥- يُعاتِبُكِ على الكلمة	٦٣
١٦- أمي	٦٧
١٧- أحبُّكَ	٧٠
١٨- حين يصبح الحنينُ وطناً لا يموت	٧٣
١٩- أُبحرُ إليكَ حين تحترقُ السُّفُن	٧٥
٢٠- أُحبُّكَ قبل أن تُبصِرَكَ العيون	٧٨
٢١- تعالَ... لنرقص تحت المطر	٨١
٢٢- أنشودةُ الفجر	٨٦
٢٣- نشيدُ ما بعد القيد	٩٠
٢٤- مساءٌ من نيسان	٩٤
٢٥- لا أحدُ يعلمُ كيف التقينا	٩٩
٢٦- اجعلني ما لا يقال... ويبقى	١٠٣
٢٧- الألمُ الذي لا يرحل	١٠٦
٢٨- في وداعِ الزيزفون	١١٠

٢٩- سِرُّ الصمت ١١٤
٣٠- ليالٍ ترتدي الظلم ١١٨
٣١- السِّجن ١٢١
٣٢- أعرفُ أن الطرقَ إليكِ مغلقة ١٢٤
٣٣- الشوق ١٢٨
٣٤- اليراعة ١٣١
٣٥- الفِراق ١٣٤
٣٦- الأنقاض ١٣٧
٣٧- ذاكرةُ الليل ١٣٩
٣٨- ليلةٌ خجولة ١٤٢
٣٩- سلطنةُ الجهل ١٤٤
٤٠- نشيد الاحتراق المؤجَّل ١٤٦
٤١- من أنا ١٤٩

مقدمة

ليس الليلُ في هذا الديوان زمناً يقاس بتعاقب الساعات، ولا عتمةً تبددها مصابيحُ المدن، بل كائنٌ خفيٌّ يتسرب إلى اللغة ويقيم في تجاويفها، كأنه الذاكرةُ الأولى للكلمات قبل أن تتعلم النطق. هنا، لا يمر الليلُ على القصائد مروراً عابراً، بل يتشكل فيها، يترك أثره، وينسحب تاركاً وراءه وشماً لا يرى، لكنه يظل نابضاً في كل سطر، كما لو أنّ القصائد ليست إلا محاولاتٍ لقراءة هذا الأثر أو للنجاة منه.

في "وشمُ الليل"، لا تكتب القصيدة بوصفها فعلاً إرادياً، بل بوصفها استجابةً داخلية لنداءٍ غامض، يأتي من عمق الألم، من تلك المنطقة التي تسبق اللغة وتؤسسها في آنٍ معاً. الحزنُ هنا لا يظهر كحالةٍ طارئة، بل كجوهرٍ يعيد تشكيل الوعي، والغيابُ لا يفهم كفقدٍ خارجي، بل كفراغٍ داخلي يتسع كلما حاولت الروح أن تمتلئ. كأن الشاعرة لا تكتب لتعبر، بل لتبقى... لتمنح ما لا يحتمل شكلاً يمكن احتماله.

وسيلفا بوزان، ابنةُ كوباني الجريحة، لا تحمل مدينتها كذكرى، بل كجرحٍ مفتوح في الوعي، وندبةٍ لا تندمل بل تتحول إلى لغة. كوباني هنا ليست مكاناً يُستعاد، بل حقيقةً وجودية تتسرب إلى كل قصيدة، كأن المدينة لم تغادرها يوماً، بل سكنت فيها على هيئة فقدٍ طويل وحنينٍ لا يعرف العودة. ومن هذا التمزق بين ما كان وما انكسر، تولد القصائد لا كتوثيقٍ للألم، بل كتحولٍ له... كأن اللغة نفسها تحاول أن تعيد بناء ما هدمه الواقع ولو بشكلٍ مؤقت.

الغربة في هذا الديوان ليست مسافةً بين جغرافيا وأخرى، بل مسافةٌ بين الذات ونفسها. إنها ذلك الشرخ الخفي الذي يجعل الإنسان غريباً حتى في أكثر الأماكن ألفة، ويجعله يبحث عن نفسه في مرايا لا تعكسه كاملاً. ومن هذا الشعور المتشظي تنبع القصائد، كأنها محاولاتٌ مستمرة لإعادة تعريف الانتماء أو لتأجيل السقوط في هاوية اللا انتماء.

أما الحب، فلا يأتي هنا كخلاصٍ سهل، بل كاختبارٍ دائم للهشاشة الإنسانية. إنه حبٌّ يعرف أن نهاياته محتملة في كل لحظة، ومع ذلك يستمر، لا بوصفه يقيناً، بل بوصفه رغبةً في مقاومة العدم. والحنين، في نصوص سيلفا، ليس رجوعاً إلى الماضي، بل إعادة خلقٍ له، كأن الذاكرة ترفض أن تكون أرشيفاً صامتاً، وتصر على أن تكون حياةً موازية تعاش بالكلمات.

في هذا الديوان، يتحول الألم من تجربةٍ شخصية إلى بنيةٍ جمالية، ومن وجعٍ معيش إلى طاقةٍ لغوية تعيد صياغة العالم. القصائد هنا لا تكتفي بأن تقول، بل تحاول أن تفهم، أن تنقب في طبقات الشعور، وأن تصل إلى تلك النقطة التي يصبح فيها الصمتُ أبلغ من الكلام. ولهذا، فإنّ "وشمَ الليل" ليس ديواناً يقرأ فقط، بل يعاش ويلامس، ويترك أثره في القارئ كما يترك الوشم أثره في الجسد: ثابتاً، عميقاً، ومفتوحاً على الزمن.

وهذا الديوان، بوصفه التجربة الأولى، لا يأتي كبدايةٍ بسيطة، بل كحصيلة سنواتٍ من التراكم الصامت، من الألم الذي لم يجد منفذاً إلا عبر اللغة، ومن الغربة التي لم تهزم إلا بتحويلها إلى نص. إنه ليس بداية الكتابة، بل بداية الانكشاف، تلك اللحظة التي تقرر فيها الروح أن تواجه ذاتها وأن تكتب ما كانت تخشاه.

"وشمُ الليل" ليس ديواناً يغلق بعد قراءته، بل يظل مفتوحاً في الداخل، كجرحٍ جميل أو كحلمٍ لا يكتمل. كل قراءةٍ له هي عودةٌ إلى منطقةٍ لم تشفَ بعد، وكل قصيدةٍ فيه هي محاولةٌ لإضاءة العتمة من داخلها، لا للهروب منها.

وهنا، لا يعود الليلُ مجرد زمنٍ للكتابة، بل يصير الكاتبَ نفسه، وتصبح الشاعرةُ مجرد صوتٍ يمر عبره، يترجم صمته، ويتركه على الورق أثراً لا يمَّحى. وهكذا... يصبح الليلُ وشماً.

وتقرأ سيلفا بوزان بين ضفتي هذا الديوان، لا بوصفها كاتبةً للقصائد، بل بوصفها أثراً حياً للغربة حين تتحول إلى لغة، وللألم حين يصير جمالاً قابلاً للقراءة.

د. عدنان بوزان

منفى القلب الأخير

أنا لستُ بخير...
لكنني أُخفي وجعي في حقيبةِ المساءِ
وأمضي ..
كأن الطريقَ يعرفني أكثرَ مما أعرفُ نفسي
وكأن قلبي—هذا الغريب—
نسي اسمي
وأقام في منفىً داخلَ صدري.

أنا لستُ بخير...
وأعرفُ أنّ في داخلي حصاراً
يشبه حصارَ المدنِ حين تغلِق أبوابها على أنفاسِها
وحين يصيرُ الهواءُ تهمةً
والنجاةُ احتمالاً مؤجلاً.

هنا...
شيءٌ ما يخنقني
ليس يداً ترى
ولا سكيناً تلمس
بل غيابٌ كثيفٌ
يتمشى في دمي كجنودٍ بلا راية
يقتسمون نبضي
ويتركونني بلا قلبٍ يكفيني.

دمعي...
هذا الذي يقفُ على حافةِ العين
كشهيدٍ يتردد بين السقوطِ والبقاء
لا يريدُ أن يموتَ علناً
ولا يقدرُ أن يعيشَ سراً
فأُربيه في مقلتيَّ
كآخرِ وطنٍ صغير.

وقلبي—
يا هذا القلبَ الذي لا يتعلم—
يؤلمني...
كما تؤلمنا الحقيقةُ حين تخلعُ قناعها
كما تؤلمُنا الذاكرةُ
حين تعودُ بلا إذن
وتجلسُ معنا
على مائدةِ الليل.

أقولُ له: تمهل
فلا أحدَ هنا
ليرمم هذا الخراب
ولا أحدَ ينتظرك
في آخرِ النبض
لكنه يعاندني
كطفلٍ يركضُ خلفَ فراشةٍ من دخان
ويعودُ إليَّ
محملاً بالخسارات.

وكثيراً ما نمتُ...
لا من تعبٍ
بل من فائضِ الألم
كنائمةٍ على حدودِ الحلم
تخافُ أن تستيقظَ
فتجدَ نفسها كما هي:
وحيدةً ..
إلا من ظلها.

أنا تلكَ الفتاة
التي تعلمتْ كيف تقاسِم الليلَ مرآته
فتبدو جميلةً في العتمة
وأشدَّ صدقاً في انكسارها
أنا التي تخفي كسورها

في جيبِ القصيدة ..
وتقولُ للعالم:
هذا مجردُ حبر.

لكنني أعرف—
وأعرفُ جيداً—
أنني أنزفُ على الورق
وأنّ الكلماتِ ليست إلا
ضماداً مؤقتاً
لجرحٍ يتقن البقاء.

في الليل...
حين يتعرى الصمتُ من صوتِه
وأجلسُ مع قلبي كغريبين
في غرفةٍ واحدة
نسأل:
كم يلزمُ من الحنين
لنعيدَ ترتيبَ هذا الخراب؟
وكم يلزمُ من الضوء
لنقنعَ العتمةَ
أننا ما زلنا هنا؟

أنا لستُ بخير...
لكنني أكتب
وأكتبُ
كمن يزرعُ شجرةً في البحر
كمن يعلقُ قلبه
على غيمةٍ بعيدة
وينتظرُ المطر.

أنا لستُ بخير...
لكنني—
رغم كلِّ هذا— أقاوم ..
كقصيدةٍ
ترفضُ أن تنتهي.

اعترافاتُ أنثى مُحاصَرة

أنا لا أكتبُ الآن...
بل أُسلمُ قلبي إلى الورق
كأسيرةٍ تلقي سلاحها الأخير
وأقول:
هذا أنا—
أنثى تحاصرها الجهاتُ الأربع
ولا جهةَ لها
سوى هذا الصوتِ الذي يتكسرُ في حنجرتي.

أنا تلكَ التي، إذا ابتسمتْ
ظنوا أن النجاةَ تقيمُ في ملامحِها
ولم يعرفوا
أنني أُخبئُ خلفَ ابتسامتي
مدينةً من الركام
وشوارعَ تضيئها الذكرياتُ
لا المصابيح.

أنا لا أبكي كثيراً...
أنا فقط
أفيض ..
كبحرٍ ضاقَ بنفسه
فصار يغرقُ موانئه
دون أن يغادرَ مكانه.

يحاصِرُني الليل—
ليس كعتمةٍ عابرة
بل ككائنٍ يعرفُ اسمي
يناديني كلَّ مساء:
تعالي...
لنعيدَ ترتيبَ هذا الألم

كما نعيدُ ترتيبَ الفوضى في غرفةٍ مهجورة.

وأجلسُ معه
كمن يصافحُ قدره
نقتسمُ الصمت
ويزرعُ في صدري
أسئلةً بلا أجوبة
وأحلاماً
تشبه أبواباً لا تفتح.

أنا محاصرة...
لا بجدرانٍ ترى
بل بما لا يقال
بكلِّ ما كتمتهُ كي أبدو قوية
بكلِّ ما ابتلعتهُ
كي لا أجرحَ أحداً
فجرحتُ نفسي
حتى صرتُ خريطةً من الندوب.

أعترف—
أنني تعبتُ من كوني
الملجأَ الذي لا ملجأَ له
ومن كوني اليدَ التي تمسكُ الآخرين
ولا تجدُ من يمسكها
ومن كوني الصوتَ الذي يواسي
ولا يواسَى.

أعترف—
أن قلبي
لم يعد يعرفُ كيف ينجو
وأنه كلما حاولَ الخروجَ من هذا الحصار
عاد إليّ
محملاً بأسمائهم ..

بخيباتهم ..
وبكلِّ ما تركوه فيَّ
كأثرٍ لا يمحى.

أنا لا أطلبُ الكثير...
قليلٌ من الضوء
يكفي كي أُصدقَ أن النهارَ ممكن
قليلٌ من الطمأنينة
يكفي كي لا أخافَ من نفسي
وقلبٌ واحد
لا يخذلني
حين أضعُ رأسي عليه، كطفلةٍ تعبت.

لكنني—
في هذا الحصارِ الطويل—
تعلمتُ
أن أربي الأملَ كسرٍّ صغير
أن أُخفيهُ عن العيون
كي لا يصادر
وأن أؤمنَ
أن في داخلي نافذةً
لم تغلق بعد.

أنا تلكَ الأنثى
التي تعترفُ الآن—
لا ضعفاً
بل لأن الحقيقةَ أثقلُ من الصمت
ولأن النجاةَ
تبدأ أحياناً
بجملةٍ بسيطة:

أنا محاصرة...
لكنني

لم أستسلمْ بعد.

سأفتحُ في هذا الجدار
شقاً من ضوء
ولو بأظافري
وسأمشي—
ولو على قلبي—
نحو جهةٍ
تشبهني.

أنا الأنثى التي
كلما ضاقتْ بها الحياة
وسعتها بالكلمات
وكلما خذلها العالم
أعادتِ اختراعَ نفسِها
كقصيدةٍ لا تهزم.

وأعترفُ أخيراً—
أنني، رغم كلِّ هذا الحصار
ما زلتُ حية...
وما زلتُ
أكتب.

ذاكرةٌ مثقَلةٌ بالوجع

لا أفتحُ ذاكرتي...
هي التي تفتحني
كبابٍ قديمٍ يئنُّ في الريح
ويطلقُ عليَّ ما ادخره من صدى.

أنا لستُ ما أعيشه الآن
بل ما تبقى من أمسٍ
لم يحسنِ الوداع
أنا ارتعاشةُ اسمٍ
حين ينادى في داخلي
ولا يجيب.

في رأسي مدنٌ لا ترى
شرفاتٌ تطلُّ على غيابٍ طويل
ورسائلُ لم تصلْ
تعلمتْ كيف تشيدُ أعشاشها
في صدري.
هناك
تنامُ طفولتي كقنديلٍ مطفأ
وتستيقظُ كلما مرت يدُ الذكرى
على كتفي.

أُجربُ النسيان...
كمن يجربُ ماءً جديداً
لكن وجهي يعودُ من كلِّ مرآةٍ
أكثرَ قِدماً
وأكثرَ امتلاءً بأسمائهم.
أقول: سأعبرُ دون أن ألتفت
فتنبتُ خلفي الطرقات
وتناديني باسمي الأول.

يا لهذه الذاكرة—
كم تشبهُ أماً قاسيةً
تعيدني كلَّ ليلةٍ إلى الدرسِ نفسه
وتقول: احفظي الألم
فهو وحده لا ينسى.

في خزانتي
فساتينٌ لم أعد ألبسُها
لكنها تلبسُني
تفوحُ منها ضحكاتٌ قديمة
وتنهضُ منها خطواتي
نحو بابٍ لم يعد هناك.
ألمسُ القماش
فيتساقطُ من أصابعي
غبارُ العناق.

أنا التي ترتبُ خساراتها
كزهورٍ على طاولة
تسقيها كلَّ صباحٍ
كي لا تموت
فتموتُ فيها أشياءُ أخرى
لا ترى.
أنا التي، إذا نامتْ
أيقظتها ذكرى
وإذا استيقظتْ
وجدتِ الذاكرةَ قد سبقتها
إلى القلب.

قلبي ليس عضواً...
إنه أرشيف
تتكدسُ فيه الصورُ
كأوراقٍ بلا تواريخ
وأنا—

أُقلبُها ..
أرتبُها ..
وأُعيدُ فوضاها
كما يعيدُ البحرُ أمواجه
إلى الشاطئ نفسه.

أحاولُ أن أكونَ خفيفةً
كأنثى تعبرُ يومها
بابتسامةٍ لا تفكرُ كثيراً
لكنَّ الذاكرةَ تثقلُ خطاي
تضعُ في جيبي حجراً
وفي صدري مرآةً
فأرى كلَّ ما كان
كلما حاولتُ أن أرى ما سيكون.

يا أنا...
كيف أحملُ كلَّ هذا
ولا أنحني؟
كيف أُقنعُ الوقتَ
أن يتركني أبدأ
دون أن أُكمِل؟
كيف أتعلمُ
أن أكونَ الآن
فقط الآن
دون أن يداهمني الأمسُ
كجيشٍ من الحنين؟

أنا لا أريدُ النسيان
أريدُ ذاكرةً
تتعلمُ الرحمة
تخففُ قبضتها عن قلبي
وتتركُ لي
مساحةً

لأُحبَّ من جديد
دون أن أعتذرَ لما مضى.

أنا تلكَ الأنثى
التي تمشي على خيطٍ بين زمنين
تحملُ في يدٍ
بقايا الأمس
وفي الأخرى
احتمالَ الغد
وتحاولُ—بكلِّ هذا الثقل—
أن تظلَّ واقفة.

ذاكرتي...
ليست كتاباً يغلق
بل نافذةٌ لا تنام
وكلما أطفأتها
أضاءتني.

وأنا—
رغم هذا الوجعِ المتراكم—
ما زلتُ أكتب
كمن يخففُ عن قلبه
حمولةَ المعنى
كمن يحولُ الألم
إلى شكلٍ يمكن احتماله.

أنا ذاكرةٌ تمشي
وتتعلمُ ببطءٍ
كيف تسامحُ نفسها
وكيف تلقي عن كتفيها
هذا الماضي
دون أن تسقط.

ما تبقّى منّي في الليل

في الليل...
لا أعودُ أنا كما يعرفني النهار
أخلعُ اسمي عند الباب
وأدخلُ كغريبةٍ
تعرفُ تفاصيلَ المكان
ولا تنتمي إليه.

في الليل...
يتسع صدري لوجعٍ لا يرى
كأنّ الظلامَ يفتحُ لي خزائنه
ويقول: خذي...
هذا ما خبأتِهُ عن نفسِكِ طويلاً.

أنا في النهار
أنثى تتقنُ ترتيبَ ابتسامتها
تقايضُ الصمتَ بالكلمات
وتسيرُ مستقيمةً
كأنها لا تحملُ في داخلها
انكساراً واحداً.

لكنني في الليل...
أصيرُ أنا ..
تماماً كما كنتُ
قبل أن أتعلمَ كيف أُخفي نفسي.

هنا...
على حافةِ الوسادة
أجمعُ ما تبقّى منّي:
صوتاً خافتاً
دمعةً لم تكتمل
وقلباً ..

نسي كيف يهدأ.

أقول:
يا ليل ..
لا تحاصِرني أكثر
فأنا متعبةٌ من الدفاع
عن كلّ ما يتداعى في داخلي
لكنه يبتسم—
هذا الليلُ الذي يعرفني—
ويعيدني إليَّ
كمرآةٍ لا ترحم.

ما تبقّى منّي
ليس وجهاً كاملاً
بل شظايا
تتذكرُ الضوء
كلما مرَّ طيفهُ بعيداً.

ما تبقّى منّي
أنثى
ترمِّمُ قلبها كلَّ مساء
وتكسرهُ كلَّ صباح
كأنها تعيشُ
بين احتمالين:
أن تنجو...
أو تتقنَ الغرق.

في الليل...
تجلسُ الذكرياتُ حولي
كضيوفٍ لا يغادرون
يسألونني عنّي
وأجيبهم بالصمت
كأنني لا أعرفُ

من أكون
حين يغيبُ الجميع.

أنا التي
كلما أطفأتُ الضوء
أضاءني الحنين
وكلما أغمضتُ عيني
استيقظَ داخلي
كلُّ ما حاولتُ نسيانه.

يا لهذا القلب...
كيف يحتملُ كلَّ هذا؟
كيف يظلُّ ينبضُ
كأنّ شيئاً لم ينكسر؟
كيف يصدّقُ
أن الغدَ سيأتي
أخفَّ من هذا الليل؟

ما تبقّى منّي في الليل
ليس ضعفاً...
بل حقيقة
أنا حين أتعرى من ضجيج العالم
أجدُ نفسي
كما هي:
هشةً...
لكن صادقة.

أنا التي
تكتبُ كي لا تموت
وتنامُ
كي لا تفكر
وتحلمُ
كي تقنعَ قلبها

أن الحياةَ
ليست كلها
هذا الألم.

وفي آخر الليل...
حين يخفُّ ثقلُ العتمة
وأقتربُ من ضوءٍ خافت
أجمعُ نفسي
كما تجمعُ الأمُّ طفلها من البكاء
وأهمس:
سننجو...
ولو قليلاً.

أنا ما تبقّى منّي
وهذا الليلُ
شاهدي الوحيد.

قوافلُ الريح

أنا التي تربّي الجهاتَ على اسمها
وتخبّئُ في معاطفِ الغيمِ وجهاً لا يرى...
أنا التي، إذا مشت
تعلمتِ الطرقاتُ كيف تصغي لخطاها
وكيف تنصتُ للأشياءِ حين تولدُ من صمتي.

أنا فتاةٌ...
لي من الريحِ نسبٌ بعيد
ومن التيهِ حكمةٌ لا تقال
ومن الحنينِ وطنٌ، كلما اقتربتُ منه
ابتعد... كأنه يعرفُ أنني لا أعود كما كنتُ.

يا قوافلَ الريحِ ..
خذيني معكِ...
لا لأصل
بل لأتبعَ قلبي حين يضيعُ بين الجهات
حين يخطئُ في قراءةِ الخرائط
ويؤمنُ أن الطريقَ هو ما نشعرُ به
لا ما نراه.

خذيني
إلى تلك البلادِ التي لا تسمى
حيثُ الفتياتُ يكتبنَ أسماءهنَّ على الماء
ولا يخفنَ من الغرق
حيثُ العيونُ مرايا
لكنها لا تكذب.

أنا فتاةٌ
كلما هبَّت في داخلي ريحٌ
تساقطتْ أوراقي القديمة
وانكشفتْ شجرةٌ أخرى

كنتُ أُخبئها عن نفسي.

أنا فتاةٌ
أتعلمُ كلَّ يومٍ كيف أكونُ لي
كيف أخرجُ من ظلي
وأمشي وحدي...
كأنني أُجربُ ولادةً جديدة
بلا أمٍّ
بلا ذاكرة.

يا قوافلَ الريحِ
أنا لستُ خفيفةً كما تظنّين
في صدري مدنٌ مهدَّمة
وفي صوتي نداءاتُ من لم يصلوا
وفي عينيَّ
ليلٌ طويلٌ
ينامُ على وسادةِ الانتظار.

لكنني...
أُجيدُ أن أبدو كأنني نجوتُ
كأنني عبرتُ كلَّ هذا
بابتسامةٍ واحدة.

أنا فتاةٌ
تعرفُ أن الحبَّ
ليس وعداً... بل ارتحال
ليس يداً تمسكُ يداً
بل ظلانِ يتعلمان كيف يفترقان
دون أن ينكسر الضوء بينهما.

أنا فتاةٌ
كلما أحبت
فقدتْ جزءاً من اسمها

واكتشفتْ أن القلبَ
لا يسكنه أحد...
بل يمرّ به الجميع.

يا قوافلَ الريحِ
علميني كيف أكونُ بلا وجه
كيف أذوبُ في الجهات
دون أن أسقط
كيف أكونُ كثيرةً
كأنني حكايةٌ لا تنتهي
وقليلةً
كأنني لحظةٌ في يدِ الغياب.

أنا فتاةٌ
إذا بكت
تساقطتْ من عينيها مواسم
وإذا ضحكت
ازدهرتْ في صدري حدائقُ لا ترى.

أنا فتاةٌ
لا تبحثُ عن وطن
لأنها...
كلما أحبّت شيئاً
صار وطنها.

يا قوافلَ الريحِ
خذيني...
فقد تعبتُ من الثبات
من هذا الجسدِ الذي يقيمُ في مكانٍ واحد
بينما روحي
تسافرُ كلَّ ليلةٍ
ولا تعود.

خذيني...
إلى حيثُ لا أحد يعرفني
كي أتعلمَ
كيف أكتبُ اسمي من جديد
كيف أكونُ فتاةً
لا تخافُ من نفسها...
ولا من الريح.

أنا والليلُ صديقتان

أنا والليلُ صديقتان...
لا نلتقي صدفةً ..
بل كأننا خُلِقنا من مادةٍ واحدة
تتبدلُ أسماؤها مع كلِّ غروب.

أنا لا أنتظرُ الليل
هو الذي يعرفُ موعدي حين أتكسرُ قليلاً
وحين أبدو أقلَّ من ضوءٍ وأكثرَ من سؤال.

يأتي بلا خطوات
كأنه ظلي حين ينسى جسدي
وكأنه الذاكرة حين تتعب من تذكر الأشياء.

أنا فتاةٌ
أعرفُ أن الضوءَ لا يكفي ليشفى الإنسان
وأن في العتمة أحياناً
دفئاً لا تمنحه الشمس.

لهذا...
أفتحُ بابي لليل كمن يفتحُ قلبه للاعتراف
وأجلسُ معه كصديقتين
لا تخافان من الصمت
بل تصنعان منه لغةً.

الليلُ لا يسألني لماذا حزنتُ
ولا لماذا خسرتُ أشياءَ لم تكن لي كاملةً
هو فقط يضعُ يده على كتفي
كأنه يقول:
«أنا أعرف».

وفي تلك الجملة

تسقطُ كلُّ الأسئلة.

أنا والليلُ صديقتان...
نقيسُ الوقتَ بطريقةٍ لا يعرفها النهار
نعدُّ الخيباتِ كأنها نجوم
ونعلقُ أحلامنا على حوافِّ الغيم
كي لا تسقط بسهولة.

نضحكُ أحياناً...
ضحكةً لا يسمعها أحد
لكنها تربكُ السكون
كأنها دليلُ أننا ما زلنا أحياء.

أنا فتاةٌ
كلما اشتدَّ النهارُ في داخلي
هربتُ إلى الليل.

ليس لأنه أحنُّ
بل لأنه لا يشبه أحداً
لا يطلب تفسيراً
ولا يفرض وجهاً واحداً للحقيقة.

في الليل...
أكونُ أكثرَ من نفسي
وأقلَّ من خوفي.

أجلسُ مع الليل كمن يجلسُ مع مرآةٍ قديمة
لا تعكسُ وجهي كما هو
بل كما كان يمكن أن يكون...
لو أنني اخترتُ الطريق الآخر
لو أنني لم أطفئ بعض الأبواب في داخلي.

أنا والليلُ صديقتان
نختلفُ على أشياءَ صغيرة

لكننا نتفقُ على شيءٍ واحد:
أن الإنسان لا يفهم في الضوء وحده
بل في المساحات التي يتركها الضوءُ خلفه.

أحياناً أسمعه يقول لي:
«أنتِ لستِ حزينة، أنتِ ممتلئةٌ بالذكرى».
وأحياناً أقول له:
«وأنتَ لستَ ظلاماً... أنتَ شكلٌ آخر من الاحتواء».

ثم نصمت
وكأن الكلام خلق ليقال مرةً واحدة
ثم يستبدل بالسكوت.

أنا فتاةٌ
أتعلم من الليل ..
كيف لا أكون واضحةً أكثر من اللازم
كيف أترك في روحي نافذةً للغموض
كي لا يغلقني العالم داخل تعريفٍ واحد.

أتعلم منه أن القلب ليس غرفةً مضاءة
بل مدينةٌ تتغير أسماؤها كلما مرّ بها الحنين.

الليلُ يعرف أنني لا أنام بسهولة
لأن الأفكار في داخلي
تجلس كطيورٍ لا تعرف الهجرة.

فيهدأ معي
ويمد فوقي غطاءً من السكون
لا يخفي العالم...
بل يخففه.

أنا والليلُ صديقتان
نكتبُ بعضنا دون ورق
ونمحو بعضنا دون ندم

ونتركُ للعتمة مهمة الحكاية الأخيرة.

وحين يأتي الفجر...
لا نتخاصم
فقط نتظاهر بأن شيئاً لم يحدث
كصديقتين تعرفان
أن السرّ الحقيقي
لا يقال...
بل يعاش ثم ينسى بهدوء.

وشمُ الليلِ

الليلُ لا يهبطُ علينا..
بل يتسربُ إلينا كسرٍّ قديمٍ
يعرفُ طريقَهُ إلى القلب دون استئذان
ويبدأُ ببطءٍ...
في كتابةِ أرواحِنا على ورقِ الغياب.

كأنه شاعرٌ أعمى
يمشي على حوافنا بحبرٍ لا يرى
ويتحسسُ ملامحنا ..
كما يتحسسُ غريبٌ وطناً ضائعاً في ذاكرته.

يمررُ أصابعَهُ السوداء على جبينِ العالم
فيتركُ وشماً ..
خفياً ..
يشبهُ سؤالاً لم يجرؤ أحدٌ على إكماله
ويمنحنا أسماءً لا تشبهنا
لكنها تشبهُ ما فقدناهُ حين كبرنا فجأةً
دون أن ننتبه.

كلُّ نجمةٍ...
ليست سوى ندبةِ ضوءٍ لم يلتئم
وكلُّ ظلٍّ...
اعترافٌ متأخرٌ ..
بأننا وحيدون ..
حتى ونحن مزدحمون بالوجوه.

أمشي...
فيتقدمُ الليلُ في داخلي خطوةً خطوة
كأنه يدخلني بيتاً قديماً لم أعد أعرفُ مفتاحه
ويكتبُ على قلبي ببطءٍ مؤلم:
"هنا مرَّ الذين أحببتِهم... ولم يتعلموا البقاء."

أحملُ جسدي كرسالةٍ بلا عنوان
وأُخفي انكساري في جيبِ الصمت
كأنني أتدربُ على الغياب قبل أن يحدث.

يا ليل...
لستَ عتمةً فقط، بل ذاكرةٌ تمشي على أطرافِنا
تعيدُ إلينا كلَّ ما حاولنا نسيانه
وتطفئنا بطريقةٍ تشبهُ الحنين.

وفي كلِّ مساءٍ
أشعرُ بأنني لا أُولدُ من جديد
بل أُمحى ببطءٍ أجمل...
حتى أقترب من شكلِ الغياب الذي يشبهني.

وحين يكتملُ الوشم
لا أبقى أنا...
بل شيءٌ يشبهني من بعيد
صوتُ امرأةٍ تاهت بين اسمين
ونسيت أيهما كان لها
فصارت صدىً يمشي على عتبةِ الفجر...
ولا يعود.

يتيمةُ الضوء

أنا والليلُ... والحزنُ ثالثُنا
نقاسمُ طاولةَ العتمةِ ذاتها
ونتبادلُ صمتنا ..
كأنه خبزُ الغريبِ حين يبردُ في المنافي.

أنا فتاةٌ تمشي في ذاكرةِ الضوء
لكنّها كلّما اقتربتْ من نفسها
تعثرتْ بظلها...
وسقطتْ إلى داخلها أكثر
كأن الداخلَ وطنٌ بلا أبواب.

الليلُ طويلٌ... لا ينتهي
كأنه نسج من أنفاسِ العابرين
ومن رسائلَ لم تصلْ إلى أصحابها
ومن قلوبٍ تركتْ ..
على الأبوابِ وصاياها الأخيرة
ومضتْ خفيفةً كأنها لم توجد.

والحزنُ...
ليس ضيفاً كما نظن
إنه صاحبُ البيتِ الأول
يجلسُ في صدري بثقةِ العارفِ بالمكان
ويعلقُ معطفهُ على نبضي
كأنني ذاكرتهُ القديمة.

أنا والقمرُ توأمانِ في الغربة
هو وحيدٌ في علوِّه
وأنا وحيدةٌ في سقوطِي
وكلانا نبحثُ عن وجهٍ يشبهنا
فنجدُ فقط انعكاسَ الغيابِ أعمقَ مما نحتمل.
أحياناً

أحدّقُ في السماءِ
فأراها تنكسرُ كزجاجٍ قديمٍ أنهكتهُ الأسئلة
وأرى الليلَ يبكي بصمتٍ ثقيل
ولا أحدَ يمسحُ دمعهُ
سوى الريح ..
حين تمرّ كأنها لا تدري.

أنا لستُ كاملةً
أنا أثرُ فتاةٍ مرّتْ من هنا
تركتْ ظلَّها على الأرصفةِ
ومضتْ... بلا يقينٍ، بلا طريق.

يا ليلُ...
لماذا كلما احتضنتني
تعلمتُ أكثر كيف أختفي؟
ولماذا كلما ضحكتُ
تكسّر صوتي في منتصفِ الفرح
كأن الفرحَ لا يحتملُ اكتماله؟

القمرُ يشبهني...
لا يملكُ إلا النورَ ليخفي وجعه
لكنهُ في السرِّ
ينزفُ ببطءٍ على كتفِ السماءِ
دون أن يراهُ أحد.

أنا...
غريبةٌ في حضنِ الوجود
كأنني فكرةٌ سقطتْ من كتابِ القدر
ولم يجدوا لها عنواناً
فأطلقوا عليها اسماً يشبهُ النسيان:
امرأةٌ تتعلمُ كيف تحزنُ بصمت.

وفي آخرِ الليل ..
حين ينامُ كلُّ شيء

أجلسُ مع نفسي
ونعدّ الخيباتِ واحدةً واحدة
كمن يعدّ نجوماً لا تنطفئ
لكنها لا تضيء.

ثم أقول:
يا قلبي... لا بأس
فحتى هذا الحزنُ
سيأتي يوماً خفيفاً
يمرُّ بنا كذكرى
ثم ينامُ على كتفِ النسيان.

أنينُ الروح

أنا لستُ سوى ظلٍّ
نسيتهُ المرآةُ
حين انحنى الصباحُ على وجهه
فلم يتعرف إليه.

أنا تلك التي
تتأخر في النداء
تخفي اسمها في جيبِ الغياب
وتقول للريح:
خذيني قليلاً...
فأنا أثقلُ من حزني
وأخفُّ من احتمالي.

أمشي...
وفي قدميَّ طرقٌ لم أصلها
وفي صدري مدنٌ
تعلمت كيف تنهار بصمت
كأنّ الخرابَ
فنٌّ أتقنته القلوبُ
حين تعبت من الصراخ.

أنا لا أبكي...
بل أرتب الدموعَ
كي لا تسقط دفعةً واحدة
أعلقها على حوافّ الليل
كمصابيحَ صغيرة
وأنتظر أن يأتي أحدٌ
يفهم أنّ الضوء
هو الحزنُ حين يتأدب.

في داخلي...
ألفُ عامٍ أخرى
تكتبني
وتعيدني إلى البداية كلما انتهيتُ.
وتسألني:
كم مرّةً يجب أن تنكسري
لتتعلمي الوقوف
دون أن تسندي قلبكِ إلى أحد؟

أنا التي
إذا أحبت
صارت وطناً من هشاشة
وإذا غابت
صار الغيابُ اسماً آخر لها.

أحمل وجهي كحقيبةٍ قديمة
ممتلئةٍ بأصواتٍ لم تقل
وبرسائلَ لم تصل
وبضحكاتٍ
تعلمت كيف تختبئ
كي لا تزعج الألم.

يا روحي...
يا هذا الأنينُ الذي لا يهدأ
كم مرةً سنموت
كي نتقن الحياة؟
وكم مرةً سنعود
كي نصدّق أنّ الرحيل
لم يكن نهاية؟

أنا لا أبحث عن نجاة
بل أبحث عن معنى
يليق بكل هذا الانكسار

عن كلمةٍ واحدة
تعيد ترتيب الفوضى في صدري
وتقول لي:
لستِ وحدكِ...
حتى وإن بدا العالمُ فارغاً منكِ.

وفي الليل...
حين يتعب الظلُّ من مرافقتي
أجلس إلى نفسي
أحادثها كغريبة
وأقول:
لا تخافي...
فكلُّ هذا الألم
ليس إلا طريقاً
يتعلم كيف يسمى حياة.

أنا أنينُ الروح
حين يفيض بها الصمت
أنا تلك القصيدة
التي لم تكتب كاملة
لأن الحزن
كان أطولَ من اللغة.

ولهذا...
أترك قلبي مفتوحاً
على جهةِ الغياب
وأمشي—
كأنني أعرف النهاية
وكأنني
لن أصل.

كأنكِ أنا

كأنكِ كنتِ معي...
لا كذِكرى
بل كجلدٍ آخرَ لروحي
كاسمٍ سريٍّ
كنتُ أُخبئه في فمي
وأخافُ أن أنطقه
فيضيقَ العالم.

كأنكِ كنتِ هناك...
حين كنتُ أتعثرُ بي
وأجمعُ قلبي من الطرقات
كطفلةٍ أضاعت لعبتها
في زحامِ العابرين
فجئتِ أنتِ
تلمّين كسوري بخيطٍ من ضوء
وتقولين:
"انهضي... أنا هنا."

كنتِ تطوفين بين جراحاتي القديمة
تعرفينها
كما تعرفُ الأمُّ أسماءَ أولادها
تمسحين عليها
فتخجلُ من أن تكون وجعاً
وتذوب...
كأن الألمَ
لم يخلقْ إلا ليذوبَ بين يديكِ.

كنتِ تسكبين النهارَ على وجعي
لا كنهارٍ عادي
بل كربيعٍ

يجيء متأخراً
ويعتذرُ عن كل الفصول التي خذلتني
فأبتسم...
وأصدقُ
أن قلبي ما زال صالحاً للحب.

وتبقى يدكِ فوق فمي...
لا لتمنعني
بل لتترجمني
لتقول عني:
"هذه فتاةٌ
تعبت من الصمت
فجاءت لتتكلم بكِ."

كأنكِ كنتِ السلامَ
الذي لم يجيء
لكنكِ
حين مررتِ في حياتي
تركتِ في صدري هدنةً صغيرة
يكفيني
أن أعيشَ عليها ما تبقى مني.

كأنكِ أنتِ الحقيقة
وكل الذين مروا بي
كانوا ظلاً
لم يتقن دورَ الضوء
وكانت قلوبهم
نوافذَ مغلقة
وأنتِ وحدكِ
كنتِ الباب.

أنا...
التي تعلمتُ الحذرَ من اللمس

كيف صدقتُ يديكِ؟
كيف وضعتُ قلبي بين أصابعكِ
دون أن أرتجف؟

أنا...
التي كانت تخافُ من الغرق
كيف صرتُ بحراً
حين ناديتِ اسمي؟

كنتِ في عيني
الدهشةَ الأولى
وفي صوتي
رجفةً لا تخجل
وفي قلبي
حقيقةً لا تقال...
بل تعاش.

كانت يداكِ...
الدقَّ الوحيد
على بابي الذي أغلقته
في وجه العالم
وكانت لمستكِ
تعيد ترتيبَ روحي
بعد فوضى طويلة.

يا أنتِ...
يا امرأةً
تشبهني حين أكونُ أجمل
وتشبهني حين أبكي
بلا دموع
كيف استطعتِ
أن تجدي الطريق إليّ
وسطَ هذا الضياع؟

كيف جعلتِني
أحبني
لأنكِ أحببتِني؟

كأنكِ كنتِ معي...
وما زلتِ
تنامين في صدري
كسرٍّ لا أريد كشفَه
كأغنيةٍ
كلما انتهت
بدأت من جديد.

كأنكِ...
أنا
حين وجدتُ أخيراً
نسختي التي لا تؤلمني.

وكلما حاولتُ
أن أقول إنكِ غائبة...
أجدكِ
تكتبينني من الداخل
وتهمسين:
"أنا هنا...
فيكِ
ولستُ بحاجةٍ
إلى مكان."

بين اسمين لا يكتملان

أقفُ على حافةِ اسمي
كأنني لم أولد بعد
وكأنّ الريحَ
لم تجرب أن تمرّ من جسدي
لتتعلم شكلَ الحنين.

أمشي...
وفي جيبي وطنٌ صغيرٌ من الغيم
وفي قلبي نافذةٌ
تتذكرُ الضوء
ولا تجده.

أنا لستُ مكتملة
أنا احتمالُ فتاةٍ
تعلقُ صوتها
بين سؤالٍ لا يجاب
وأغنيةٍ نسيتها المدن.

كلما حاولتُ أن أكون واضحة
تتكسرُ فيّ الجهات
وتختلطُ الطرقُ
كخيوطٍ فقدت يدَ الغزل.

أحببتُ العالم...
لا كما يحب ..
بل كما يحزن
كما يلمسُ شيءٌ هشٌّ
جداراً أكبرَ من احتماله.

وفي الليل
أسمعني من بعيد

كأنني أعودُ إليّ
ولا أصل.

أضعُ وجهي على وسادةِ الريح
فتنهضُ الأحلامُ متأخرةً
وتتذكرُ أنها لم تكتمل.

هنا...
لا أحد يعرف اسمي كاملاً
حتى أنا
أخطئ في نطقه حين أكون وحدي.

أمشي كأنني أثرُ شخصٍ
مرّ من الحياة
ولم ينتبه أنه ترك ظله.

وفي داخلي
مدنٌ لا تُضاء ..
وأمهاتٌ من ضوءٍ قديم
ينتظرن رسالةً
لن تصل.

أكتبُ...
لأفهم لماذا يتكسر الصوتُ
حين يقترب من نفسه
ولماذا يصبح الحنينُ
وطناً لا يغادر.

أكتبُ كي لا أضيع دفعةً واحدة
أتركُ لي أثراً صغيراً
على هامش الهواء
كأنني أقول للعالم:
كنتُ هنا
ولو لم يصدّق أحد.

لكنني لستُ هنا تماماً
ولستُ هناك أيضاً
أنا المسافةُ بينهما
فتاةٌ
تتعلم كيف تكون خفيفةً
على الخراب.

وفي آخر الطريق
لا شيء ينتصر
لا أنا...
ولا الغياب..

فقط
أبقى
كجملةٍ لم تكتمل ..
تتذكرها اللغة
كلما صمتَ العالم.

بين الرصاص والقصيدة

أنا ابنةُ المدنِ المنفيّة
أحملُ اسمي على كتفي كأنه بندقيةٌ صدئة
وأمشي...
كأني أجرُّ خلفي خرائطَ أُحرقت عمداً
وأسماءً لم تعد تعرفني
ولا أنا أجرؤ على مناداتها.

أنا أنثى
كلما أحببتُ رجلاً
خسرتُ وطناً
وكلما أحببتُ وطناً
انغلق قلبي في رجلٍ لا يشبهني.

أشبهُ الشوارعَ حين تبكي بلا صوت
وأشبهُ المدنَ حين تتعلم النسيان قسراً
وأشبهُ وجهي
حين أراه في مرايا الحدود
فلا أعود أعرف:
أأنا المنفيّة... أم أنا التي نفيتُ من نفسها؟

أحببتُك
كما تحبُّ الأرضُ مطرها الأول
وتنسى أن الغيم قد يخون
وكما تحبُّ القصيدةُ دمَ شاعرها
ثم تتركه وحيداً في آخر السطر.

أحببتُك...
وكانت السياسةُ تقف بيننا
كجنديٍّ لا يعرف معنى البكاء
وكانت البنادقُ
تتعلم هجاءَ صدري

كلما مر اسمك في نشرة الأخبار.

قالوا لي:
لا تحبّي...
في زمن الاحتلال
الحبُّ ترفٌ
والذاكرةُ تهمةٌ
والقصيدةُ
دليلُ إدانةٍ محتملة.

لكني أحببتُك
كمن يكتب وصيته على جدارٍ يوشك أن ينهار
وكمن يزرع قلبه في أرضٍ
يعرف أنها ستصادر غداً.

يا وطني الذي يسكنني ولا يعترف بي
يا مدناً تضعُ صور الشهداء في الشوارع
ثم تنام بلا خجل
يا حدوداً
تعلق أسماءنا على الأسلاك
وتقول لنا:
مروا إن استطعتم أن تتنكروا لنبضكم.

أنا أنثى
أفتش في جيبي عن وطنٍ صغير
ولا أجده
فأبكي
كما تبكي الخرائط حين تمحى القرى من جسدها
بممحاة القوة.

أحببتُك
لا كعابرٍ في سيرة الحب
بل كمن يضع روحه على طاولة التحقيق

ويقول:
هذا أنا...
فاسألوا دمي عن اسمي.

وكانت عيناك
آخرَ ما تبقى من الضوء في مدينةٍ
انطفأت بلا إنذار
وكان صوتك
نشيداً محظوراً
يتسرب من راديو قديم
في بيتٍ مهدّم.

أنا أنثى
أحمل الحبَّ كجريمةٍ مكتملة الأركان
وأحمل الوطنَ
كندبةٍ لا تشفى ولا تنسى
وأمشي بينهما
كمن يمشي على خيطٍ
بين هاويتين:
اسمُ الأولى الفقد
والثانية الانتظار.

يا أيها الرجل الذي أحببته في زمن الرصاص
لم نكن خطأً
لكن العالم كان خطأً كبيراً
لا يتسع لقصتنا.

كنتُ أراك في الحواجز
وفي نشرات الموت
وفي وجوه الجنود
الذين لا يعرفون أن القلوب
تُهرَّب كما تُهرَّب البنادق.

أيتها الأرض التي تشبهني

لا تبرئي مني
أنا ابنتكِ التي تعلمت الحب
في مدارس الحصار
وتعلمت البكاء
بلغةٍ لا تعترف بها الأمم.

أنا ابنتكِ
التي إذا صرخت
سمعتِ في صوتها
كل المدن التي سقطت دون أن تذكر في الأخبار.

وأخيراً ...
لا أحد ينتصر في هذه الحكاية
لا الحب ..
ولا الوطن ..
ولا حتى القصائد.

لكني...
ما زلت أكتبك
كأن الكتابة
آخر أشكال الحياة
في مدينةٍ تتدرب على الموت كل يوم.

وأقول:

إذا ضاع كل شيء...
فلتبقَ هذه الكلمات شاهدةً
أن أنثىً ما
أحبّت في زمن الحرب
بكل ما تبقى من إنسانها.

عشقتُ الليل

عشقتُ الليل...
لا لأنه مظلمٌ
بل لأنه يشبهني
حين أتعبُ من ادعاءِ الضوء.

أنا ابنةُ هذا السكون
أرتبُ أنفاسي على مهلٍ
كأنني أخيطُ جرحاً
لا يريد أن يلتئم...
وأسمي النجومَ أصدقائي
كي لا أشعرَ أنني
وحيدةٌ تماماً.

في الليل ..
لا يسألني أحدٌ:
لماذا حزنكِ طويل؟
ولماذا عيناكِ نافذتان إلى ما لا يرى؟
الليلُ وحده...
يفهمُ أنّ بعضَ الأسئلة
لا تجاب
بل تعاش.

أجلسُ عند حافةِ العتمة
أمدُّ يدي
فألمسُ وجهي الحقيقي—
ذلك الذي أُخفيه في النهار
تحت مساحيقِ الصبر
وأقنعةِ «أنا بخير».

أنا لستُ حزينةً...
أنا فقط

أشبهُ فكرةً لم تكتمل
ورسالةً ضاعت في الطريق
أو أغنيةً
لم تجدْ صوتها بعد.

أتعرفُ يا ليل؟

أنا أحببتُك
حين خذلني الضوء
حين صارت الوجوهُ مرايا كاذبة
وحين اكتشفتُ
أنّ النهار
لا يحتملُ امرأةً
من نارٍ ونور
ترى أكثرَ مما ينبغي.

فيك ..
أستطيعُ أن أبكي
دون أن ينكسرَ كبريائي
وأن أكتب
دون أن أخافَ من الحقيقة
وأن أُحبّ...
دون أن أشرحَ لماذا.

أنا والليلُ
لسنا غريبين
نحنُ اتفاقٌ صامت
بين قلبين يعرفان
أنّ الجمال
ليس دائماً مضيئاً.

أمشّطُ شعري
بأناملِ الريح
وأتركه ينسدلُ على كتفي

كظلٍّ طويل
يحملُ حكاياتٍ لم تُروَ بعد.

أقولُ له:
كن حنوناً معي هذه الليلة
فأنا متعبةٌ
من أن أكونَ قويةً طوال الوقت...
فيبتسمُ بصمته
ويغطيني
برداءٍ من نجومٍ خافتة.

أتعلمُ؟
أنا لا أخافُ العتمة
بل أخافُ
أن أعودَ إلى الضوء
ولا أجدني.

لذلك
أبقى هنا...
بين نبضي
وصدى الأشياء
بين ذكرى لم ترحل
وحلمٍ لا يأتي.

عشقتُ الليل ..
لأنه لا يسألني أن أكونَ أكثر
ولا يجبرني أن أبدو أقل
لأنه يحتويني
كما أنا—
شابة
تتعلمُ كلَّ يوم
كيف تنجو من نفسها...

وكيف
تحبُّ هذا الخرابَ الجميل
الذي يسمى
قلباً.

مُشْتَاقَة

مُشْتَاقَة...
كأنّ قلبي نافذةٌ
تطِلُّ على غيابٍ طويل ..
ولا أحدَ يمرُّ ليغلقَ هذه الريح.

مُشْتَاقَةٌ إلى بيتي—
لا إلى الجدران وحدها
بل إلى صوتِ أمي
حين كانت تنادي اسمي
كأنه صلاة ..
وإلى رائحةِ الخبز
وهي تصعدُ من يديها
لتُرمِّم هذا العالمَ المتعب.

مُشْتَاقَةٌ إلى ترابِ طفولتي
إلى تلك الأرضِ
التي كانت تعرفُ خطايَ
أكثرَ مما أعرفُ نفسي
إلى الطريقِ
الذي كان يقودني إلى الحلم
دون أن يسألني:
إلى أين؟

يا بيتي...
يا ظلّي الذي تركته هناك
ينتظرني عند الباب
هل ما زلتَ تحفظُ ضحكتي؟
وهل ما زالتِ النوافذُ
تُطلُّ على اسمي
كلَّ صباح؟

أنا لم أُغادرك تماماً...
أنا فقط
أخذتُ بعضي
ورحلت ..
وتركتُ قلبي
يتكفل بالبقاء.

مُشْتَاقَة...
كأنّ في صدري
بلاداً صغيرةً
تنادي ..
وأنا أعجزُ عن العودة
إلا في الحلم.

في المنفى—
(وأنا لا أُسميه منفى
كي لا يزداد وجعي)—
أتعلمُ كيف أكونُ غريبةً
حتى عن ملامحي
وكيف أُصافحُ الطرقات
دون أن تردَّ عليّ السلام.

هنا ..
لا أحدَ يعرفُ
أنني كنتُ طفلةً
تركضُ خلف الفراشات
وأنّ ضحكتي
كانت أخفَّ من الريح
وأنّ قلبي
لم يكن يعرفُ هذا الثقل.

أنا الآن
أجمعُ نفسي

كما تجمعُ شظايا الزجاج
وأحاولُ أن أرى صورتي
دون أن أنزف.

يا ترابَ وطني ..
ويا مَسقطَ طفولتي ..
يا أولَ ما تعلمتُ عليهِ اسمي...
ومعنى أن أكون.
كيف أكون ..
كيف نسيتُ أن أعود؟
كيف كبرتُ فجأةً
حتى لم يعد في داخلي
مكانٌ للركض؟

مُشْتَاقَة...
إلى شجرةٍ
كنتُ أُسرُّ لها بأحلامي
إلى حجرٍ
كان يعرفُ ثقل جلوسي
إلى نافذةٍ
كنتُ أكتبُ عليها اسمي
ثم أمحوه خجلاً.

مُشْتَاقَةٌ ..
إلى نفسي هناك—
تلك التي لم تكن تعرفُ
أنّ العالم
أوسعُ من قلبها
وأقسى.

يا بيتي...
أنا لا أريدُ الكثير ..
أريدُ فقط

أن أعودَ لحظةً واحدة
لأقولَ لتلك الطفلة:
لا تكبري سريعاً...
فالعالمُ ليس جاهزاً لكِ.

وأقولُ لأمي:
خبزكِ
كان الوطن
وكان النجاة.

مُشْتَاقَة...
كأنّ الحنينَ
صار اسمي الآخر
وكأنّ كلَّ ما فيَّ
يمشي نحوك
ولا يصل.

أحملُكِ في قلبي
يا بلادي الصغيرة
كما تحملُ الغيمةُ
مطرها البعيد
وتنتظر...
أن تجد سماءها.

فهل أعود؟
أم أنّ العودة
صارت حلماً
أكبرَ من الطرقات؟

أنا مُشْتَاقَة...
ليس فقط إلى مكان
بل إلى زمنٍ
كان يعرفني ..
وأعرفه.

مُشْتَاقَةٌ ...
إلى كلِّ ما تركتُه خلفي
كي أنجو...
فاكتشفتُ
أنني تركتُ نفسي أيضاً.

ولهذا—
كلما ابتعدتُ أكثر ..
اقتربتُ منكِ أكثر ..
وكلما حاولتُ النسيان ..
تذكرتُ
أنّ البيوت
لا تُنسى...

بل تسكننا
إلى الأبد.

يُعاتِبُكِ على الكلمة

يُعاتِبُكِ على الكلمة...
كأنّ الحروفَ رصاصٌ
وكأنّ فمَكِ بندقيّةٌ
لا تعرفُ سوى الإصاباتِ الدقيقة.

وأنتِ—
يا ابنةَ المعنى—
لم تقولي سوى ما شعرتِ به
لكنهم أرادوا قلباً
يجيدُ الكذبَ بأدب.

أنا لا أكتبُ لأُرضي أحداً
أنا أكتبُ ..
لأن في صدري
لغةً تضيقُ إن لم تقل
ولأن الصمتَ
صار خيانةً أخرى لنفسي.

يُعاتِبُكِ على الكلمة...
ولا يعرفُ
أنكِ حين تكتبين
تنجين من الغرق
وأن كلَّ جملةٍ
هي شرفةٌ صغيرة
تُطِلّين منها على الهواء.

يا لائمي—
هل جربتَ أن تمشي
حافيَ القلب؟
أن تحملَ ذاكرةً
تتكسرُ كلما نطقتَ؟

أن تخافَ من الحروف
كما يخافُ الجرحُ
من إصبعٍ يقترب؟

أنا لا أختارُ كلماتي
هي التي تختارُني
تأتي كالمطر—
لا أستطيعُ ردَّها ..
ولا أملكُ
ترفَ التأجيل.

وحين أكتبُ
لا أكونُ أنا فقط
بل أكونُ كلَّ روحٍ
كتمتْ صوتها
كي لا تزعجَ العالم
وكلَّ قلبٍ
تعلمَ أن يبتسم
وهو ينزف.

يُعاتِبُكِ على الكلمة...
كأنّ الحقيقةَ خطيئة
وكأنّ الصدقَ
جرحٌ يجبُ إخفاؤه
تحت ضمادِ المجاملة.

لكنني—
وأنا التي تعبتُ
من أن أكونَ نسخةً مقبولة—
قررتُ أن أكونَ أنا
ولو كلفني ذلك
أن أبقى وحيدةً
في صفِّ الحقيقة.

يا هذا ..
أنا لا أُحاربك
أنا فقط
أحاولُ أن أُنقذَ قلبي
من صمتٍ طويل
ومن خوفٍ
علمني كيف أختبئ
حتى من نفسي.

الكلمةُ عندي
ليست صوتاً عابراً ..
إنها
ما تبقى مني
حين يتعبُ الجسد
وما يشبهني
حين لا أجدُ نفسي.

فلا تُعاتبني
إن كانت كلماتي حادة—
فالسكينُ
ليست دائماً عدواً
أحياناً ..
تقطعُ الألم
كي نستطيعَ العيش.

يُعاتِبُكِ على الكلمة...
وأنا
أُسامحُ العالم
على صمته الطويل
وأكتب—
كأنني أفتحُ نافذةً
في جدارٍ بلا نهاية.
أنا ابنةُ هذا الصوت ..

أُجيدُ النجاةَ بالحروف ..
وإن أخطأتُ—
فخطئي الوحيد
أنني قلتُ الحقيقة
بصوتٍ واضح.

لهذا...
دعني أكتب ..
دعني أكونُ كما أنا ..
دع كلماتي
تخرجُ بلا خوف—
فأنا
إن صمتُّ...
سأختفي.

والذين ينجون
لا ينجون بالصمت
بل بما يتركونه
من أثرٍ...
يشبههم.

أمي...

أنا ابنةُ هذا النداءِ ..
الذي يضيعُ كلما حاولتُ أن أقولكِ
وابنةُ هذا الحنينِ الذي يكبرُ في صدري
كأنهُ وطنٌ لا يرى... ولا ينسى.

أحنُّ إليكِ ..
لا كغائبةٍ تلوحُ في آخرِ الطريق
بل كجذرٍ يفتشُ عن ترابِه
وكقطرةِ ماءٍ نسيتْ اسمَ النهر
فعادتْ إلى عطشِها الأول.

أحنُّ إليكِ ..
حين يثقلُ النهارُ على كتفيَّ
وحين تتكاثرُ الطرقُ ولا طريق
فأمدُّ يدي في العتمة
فلا أجدُ سوى دفءِ صوتِكِ
يُربّتُ على خوفي
كأنهُ صلاةٌ سرية
تعرفني أكثرَ مما أعرفُ نفسي.

أمي...
لستِ امرأةً عابرةً في سيرتي
أنتِ البدايةُ حين كانت الأشياءُ بلا أسماء
وأنتِ النهايةُ حين تضيعُ المعاني
وتتكسرُ اللغةُ في فمي.

أنتِ خبزي حين يجوعُ العالم
ومائي حين تعلنُ الجهاتُ حربها على الينابيع
أنتِ ظلي الذي لا يخونني
حين تهاجرُ ظلالي الأخرى
وتتركني وحيدةً ..

في مواجهةِ شمسٍ لا ترحم.

أحنُّ إليكِ ..
حنينَ الحقولِ إلى خطى الفلاحين
وحنينَ الغيمِ إلى كتفِ الجبال
وحنينَ الطفولةِ
إلى لعبةٍ كُسِرَتْ
لكنها ما زالت تحفظُ ضحكتها.

أمي...
كنتُ أظنُّ العشقَ حكايةً تروى
أو قصيدةً تكتَب،
أو وعداً يُعلَّقُ على شرفةِ الانتظار
حتى عرفتكِ...
فاكتشفتُ أنّ العشقَ
هو أن أختبئَ فيكِ
كلما هاجمتني الحياة
وأن أعودَ إليكِ
كلما أضعتُ نفسي.

في عينيكِ ..
كنتُ أرى العالمَ أقلَّ قسوةً
وأكثرَ احتمالاً
كأنهما نافذتان
تفتحانِ السماءَ على قلبي
وتعلمانني
كيف أُصدقُ أنّ الغدَ ممكن.

وعيناكِ...
ليستا عيوناً فحسب
إنهما لغزُ النجاة
شبكتان من نورٍ
توقِعانِ قلبي في الطمأنينة

وتُحرِّرانهُ من خوفِه
كلما حاولَ السقوط.

أمي...
إذا ضعتُ..
عدتُ إليكِ طريقاً
وإذا انكسرتُ..
عدتُ إليكِ معنى
وإذا بكيتُ..
عدتُ إليكِ صوتاً
يعرفُ كيف يهدأ
حين يلامسُ صدركِ.

أنا لا أحبكِ كما يحبُّ الناسُ...
أنا أحبكِ
كما تحبُّ الأرضُ سرَّها
كما يحبُّ البحرُ عمقهُ
كما تحبُّ القصيدةُ
الكلمةَ التي تنقذها من الصمت.

فإن متُّ يوماً
لن أموتَ غريبةً ..
سأموتُ وفي قلبي
شيءٌ منكِ
يشبهُ الحياة...

وإن عشتُ ..
سأمشي إليكِ دائماً
كأنكِ الجهةُ الوحيدة
التي لا تخونُ المسافرين.

أحبُّكَ...

قبلَ أن تتعلمَ العيونُ كيف تسميكَ ..
وقبلَ أن تجرِبَ الشوارعُ وَقْعَ خُطاكَ
أحبُّكَ ..
كما يحبُّ السرُّ نفسهُ
حين يخافُ أن يقال.

أحبُّكَ...
فوقَ كل الظنونِ التي تتكسرُ على حافةِ قلبي
وفوقَ كل تفسيرٍ يضيقُ المعنى
ويسيءُ إلى اتساعِكَ في داخلي.

أحببتُكَ...
لا بعددِ الحصى فقط
بل بعددِ الطرقِ التي لم أسلُكها إليكَ
بعددِ الأشجارِ التي ترفعُ صلاتها إلى السماء
ولا تصل
بعددِ المرايا التي خذلتْ وجهي
ولم تخطئْ في وجهِكَ.

قلبي لديكَ...
لا كأسيرٍ يفاوضُ على حريتِه ..
بل كوطنٍ اختارَ أن يسلمَ مفاتيحهُ لسماءٍ واحدة
وعقلي بكَ...
ليس مجنوناً كما يقولون
بل حكيمٌ تخلى عن منطقِه
ليصدقَ معجزةً اسمها أنتَ.

أنا كلي...
ذلك الارتباكُ الجميلُ
حين يكتشفُ الإنسانُ أنهُ لم يكنْ كاملاً
إلا حين أحبّ.

قربُكَ نارٌ...
لكنها لا تحرقُني
بل تعيدُ صياغتي
تعلمني كيف أكونُ رماداً
ثم أنهضُ مني
كأنني أولُ اسمي.

وبعدكَ...
ليلٌ طويلٌ
لا ينتهي بالفجر
بل يبدأُ بي
ويمتدُّ في صدري
كأنهُ زمنٌ أضاعَ معناهُ
حين غبتَ.

يا حبّةَ روحي...
يا دواءَ جروحي التي لا تشفى
إلا إذا نادتكَ باسمِكَ
يا وردةً في بستاني
تزهرُ حتى في مواسمِ اليأس
يا قبلةً
تصالحُ أحزاني مع أفراحي
فتصيرُ الحياةُ أقلَّ قسوة.

أنتَ...
مرتَعُ بكائي
وملجأُ نواحيَّ
حين تضيقُ بي الجهاتُ
أركضُ إليكَ
كطفلةٍ تائهة
وجدتْ صدرها الأول.

صدركَ...
ليس حناناً فحسب ..

بل خرائطُ نجاة
أختبئُ فيهِ
فأشعرُ أنّ العالمَ
يمكنُ احتماله.

أنتَ الحصنُ
الذي لا يسألني:
لماذا خِفتِ؟
ولا يعاتبني:
لماذا انكسرتِ؟
بل يفتحُ لي أبوابهُ
كأني لم أُغادِرْهُ يوماً.

معكَ...
أفهمُ الخوفَ
كوجهٍ آخرَ للأمان
وأفهمُ الرجاءَ
كطفلٍ يولدُ من رحمِ اليأس
وأفهمُ الطمأنينةَ
كصوتِكَ
حين تقول: "أنا هنا".

أحبُّكَ...
لا ككلمةٍ تقال ..
بل كحياةٍ تعاش
كقدرٍ لا أهربُ منه
لأنهُ أنا.

وإن سألوني:
من تكون؟
سأقول:
هو الذي
إذا ضاعَ مني
ضعتُ ..
وإذا حضرَ
عاد العالمُ إلى مكانِه
في قلبي.

حين يصبح الحنينُ وطناً لا يموت

أنا التي تتعلمُ كيف تقيمُ في الحنين
كأنّ الحنينَ بيتٌ بلا أبواب
وكأنّي البابُ والطريقُ والطارقةُ معاً.

أُحبكَ...
لا كفكرةٍ عابرةٍ في كتاب
بل كجرحٍ يعرفُ صاحبتهُ
ويصرُّ على أن يبقى مفتوحاً
كي لا يضيع في العتمة.

فإنْ متُّ شوقاً ..
فلا تقيموا لي صلاةَ الغائب
ولا تكتبوا على شاهدةِ قبري: "كانت تُحبّ"

اكتبوا فقط:
كانت تمشي وفي قلبها حربٌ صغيرة
كلما اشتعلتْ قالت: هذا هو الوطن.

فإنْ متُّ شوقاً ..
فأنا لم أمتْ
أنا فقط انتقلتُ من جسدٍ
يحاولُ النسيان
إلى روحٍ لا تجيدُ سوى التذكر.

أموتُ شهيدةَ الحبّ
لا لأن الحبَّ معركةٌ
بل لأني قاتلتُ غيابكَ بي
ولم أرفعْ رايةَ الاستسلام.

كنتَ تسكنني كما تسكنُ الريحُ قميصاً قديماً
تحركني دون أن ترى

وتتركني في كل مرةٍ
أكثرَ فراغاً مما كنتُ.

يا أنتَ...
كم مرةً قلتُ لكَ:
خذني كاملةً أو اتركني ناقصةً
فلا نصفَ كائنٍ ينجو من الغياب.

لكنكَ تركتني بين احتمالين:
أن أكونَ ذاكرةً تكذب نفسها
أو جرحاً يتعلمُ كيف يزهر.

فاخترتُ أن أزهر.

أنا الآن زهرةٌ
تنبتُ في صدرِ الفقد
وتسقيها دموعُ الليل
حين يمرُّ اسمكَ ولا يعود.

فإنْ متُّ شوقاً ..
فلا تبكِ
فالموتُ هنا ليس نهايةً
بل طريقةٌ أخرى لأقول:
ما زلتُ أحبكَ...
لكن بصمتٍ أوسعَ من الحياة.

أُبحرُ إليكَ حين تحترقُ السُّفُن

أحرقُ سفني ..
لا لأهربَ من اليابسة
بل لأتعلمَ كيف يكونُ الوصولُ بلا طريق.

وأمتطي الكلمات
كأنها خيولُ ضوءٍ خرجت من فمِ الغيم
تجرّني إليكَ...
لا أعرفُ أين تبدأ الرحلة
لكني أعرفُ أنكَ النهايةُ ..
التي لا تشبهُ النهايات.

أنتَ بحرٌ يمتدُّ في عينيّ
لا يحاطُ ولا يروى
كلما ارتطم الموجُ بجفنيكَ
تسللتْ من كلِّ انكسارةٍ على الشاطئ
ذكرياتٌ أطيبُ من الضوء
وأرقُّ من أن تنسى.

يمتزجُ فيكَ الماضي بالحاضر
كأنّ الزمنَ ماءٌ واحد
لا بدايةَ له ولا انتهاء
وحدهُ ينسابُ فيكَ
ويغسلني منك ويغسلكَ مني
ثم يعيدنا طفلينِ في أولِ دهشة.

وفي عينيكَ
تستوي الحقولُ والروابي
كأنّ الأرضَ تعلمتِ الخضرةَ من نظرتِكَ
وكأنّ الربيعَ لم يكن قبلها
إلا احتمالاً مؤجّلاً.
العصافيرُ هناك

لا تغني... بل تتذكر
تستعيدُ أسماءها الأولى
حين كانت الريحُ قصيدةً
والسماءُ فكرةً لم تكتمل بعد.

هذا السحابُ
ليس سحاباً
إنه بقايا أغنياتٍ قديمة
سقطت من ذاكرةِ السماءِ
فصارت ظلاً يمرُّ على صدركَ
ثم يعتذر.

والبللُ...
ذاك المطرُ ..
الذي لم يتعلم بعدُ كيف يكونُ مطراً
يروي شقائقَ النعمان على وجنتيكِ
فتنهضُ الزهورُ خجلى
كأنها رأت سرَّ الخلقِ لأول مرة.

ومن بين عطفيكِ
تخرجُ النسماتُ
لا كهواءٍ عابر
بل كأسرارٍ صغيرةٍ
تبحثُ عن فمٍ يقولها دون أن يخونها.

أسافرُ في الزمن
دون سفنٍ
فالسفنُ احترقت
حين قررتُ أن أحبكَ بلا عودة.

وأنا...
لا أعود
أنا فقط أزدادُ فيكَ
كما يزدادُ الضوءُ في عينِ العتمة

حين تتذكرُ أنها كانت سماء.

وأذرفُ العبرات
لا حزناً
بل لأن الجمالَ حين يكتملُ فيكَ
يبكيني
كأنني أولُ من رأى البحرَ ولم ينجُ منه.

أُحبُّكَ قبل أن تُبصِرَكَ العيون

أُحبُّكَ ..
قبل أن تتعلمَ العيونُ كيف تنطقُ باسمك
وقبل أن يكتشفَ الضوءُ ملامحك
كنتُ أعرفكَ...
كما تعرفُ الأرضُ سرَّ المطر
قبل أن يسقط.

أُحبُّكَ ..
فوق كلِّ الظنون
فوق كلِّ ما يقال وما لا يقال
كأنّ قلبي اختاركَ
حين كان الكونُ ما يزالُ فكرةً
في صدرِ الغيب.

أحببتكَ دهشةً...
لا تقاسُ بوقتٍ
بل تقاسُ بما لا يحصى:
بقدرِ الحصى على أطرافِ الطرقات
بقدرِ الأشجارِ التي تخفي الغابةَ في قلبها
بقدرِ ما يتّسعُ الصمتُ لاسمك
حين يمرُّ بي كنجمةٍ لا تطفأ.

قلبي لديكَ رهينٌ
لا لأنكَ سجنٌ
بل لأنكَ الحريةُ التي لا أعرفُ سواها
وعقلي بكَ مجنونٌ
لا لأني فقدتُه
بل لأني وجدتهُ فيكَ... على هيئةِ جنون.

وأنا...
كلي مفتونةٌ بك ..

كما تفتنُ النارُ بخشبها
وكما يفتنُ الليلُ بسره.

قربكَ نارٌ
لكني لا أحترق
أنا أتعبّدُ في لظاها
أركعُ للدفءِ الذي فيكَ
وأُصلي باسمكَ
كي لا يبردَ قلبي.

وبُعدُكَ...
شوقٌ طويلٌ
ليلٌ لا يعرفُ الفجر
سرمدٌ من الغياب
يمشي في دمي
ويطفئني ببطء.

يا حبّةَ روحي...
يا دواءَ جروحي
يا وردةً في بستاني
تفوحُ بي قبل أن أفوحَ بها

يا قبلةً لأحزاني وأفراحي
يا وطناً صغيراً
أحملهُ في صدري
وأضيعُ فيه كلما حاولتُ النجاة.

يا مرتعَ بكائي ونواحي
يا صدراً حنوناً
أدفنُ فيه تعبي
وأولدُ منه من جديد.

يا حصناً منيعاً
حين أخاف ..

أجدكَ الخوفَ الذي يطمئنني
والرجاءَ الذي يعيدُني إليّ
والراحةَ التي لا تشبهُ الراحة.

أُحبُّكَ...
لا كما يُحبّ الناس
بل كما يُحبّ البحرُ غرقاه
وكما تُحبّ السماءُ غيمها
دون أن تسأله: إلى أين؟

أُحبُّكَ ..
حتى يصيرَ اسمي ظلاً لاسمك
وحتى تصيرَ روحي مرآةً لك
وحتى إذا متُّ شوقاً
لا أموت...
بل أُبعثُ فيكَ من جديد.

تعالَ... لنرقص تحت المطر

لنُخفِتِ الليلَ قليلاً ..
ونجلسْ بين شموعٍ تجيدُ الإصغاء
تذوبُ كأنها تعرفُ سرنا
وتكتبُ أسماءنا
على جدارِ الهواء.

تعالَ...
لنرقصْ تحتَ رذاذِ المطر
لا كجسدينِ يلتقيان
بل كغيمتينِ تعرّفتا أخيراً
إلى معنى السقوطِ معاً
كقطرتينِ
لم تعودا تخافانِ من اتحادهما
في نهرٍ واحد.

تعالَ...
لنعانقْ نجماً بعيداً
ونسأله: كيف يكونُ القمرُ
حين يُحبُّ؟
كيف يُخبّئُ ضوءهُ
في عينيكَ ..
ثم يتركُ الليلَ
يبحثُ عنهُ
في وجهي؟

كنتُ أرجوكَ حلماً...
يتردّدُ في مهجتي
كصوتٍ ضائعٍ بين نبضين
وأراكَ الآن
حقيقةً

تتسعُ لي
كسماءٍ لا تنتهي.

إن كنتُ في الحبِّ لحناً
فأنتَ العزفُ الذي يوقظني
والوترُ الذي لا ينكسر
وإن كنتُ يوماً أميرةَ قلبي
فأنتَ التاجُ
الذي لا يراهُ أحدٌ
إلا حين أبتسم.

بعينيكَ...
أبصرتُ الغرامَ
وقد تخلى عن قوانينِه
ورأيتُ حباً
لا يخضعُ لشيء ..
ولا يفسر ..
كأنهُ قدرٌ
أخطأ الطريقَ إلى الآخرين
واختارَني.

وأسمعُ همسكَ...
كحريرٍ يداعبُ صمتي
كعصفورٍ
تعلمَ الغناءَ
فوقَ شجرةِ قلبي
فاهتزتْ أغصاني
ولم تسقط.

أنتَ المُنى...
حين تتعبُ الرغبات
وأنتَ الغرامُ
حين يضيقُ تعريفُ العشق

وأنتَ ضوءٌ
يولدُ عند الشفق
كي لا أخافَ من عتمتي.

كان غرامُكَ...
ريحاً دخلتْ فؤادي
فكسرتْ نوافذَ الصمت
وأشعلتْ في داخلي
حريقاً جميلاً
لا يُطفأ.

وجمالُكَ...
لم يكن سهماً فحسب
بل لغةً كاملةً
اخترقتني ..
وسكنتْ دمي
حتى صرتُ
كلما نظرتُ إليكَ
أُترجِمُ نفسي.

نظرتُ إلى عينيكَ فجراً...
فأدركتُ
أنّ الضوءَ
لا يأتي من الشمس
بل منكَ
وأنّ النهارَ
يبدأُ
حين تبتسم.

كنتُ أظنُّني ماهرةً
في بحورِ النساء
في قراءةِ الملامح
وفكِّ شيفراتِ العيون

لكنني حين رأيتُكَ...
غرقتُ ..
لا فيكَ فقط
بل في نفسي
التي لم أعرفها قبلكَ.

فرفقاً بقلبي...
إذا ما نظرتَ
فإنّي أخجلُ
كأنني أولُ امرأةٍ
تكتشف ..
ويرتبكُ جسدي
كقصيدةٍ
نسيتْ وزنها
حين اقتربتَ.

من حُسنِكَ...
غارتِ الأشياءُ من حولي
وتعلمتُ
أنّ الجمالَ
ليس ما يرى
بل ما يغيرنا.

أنتَ حياتي...
حين تضيقُ بي الحياة
وأنتَ موتي...
حين أكتشفُ
أنني لا أريدُ نجاةً
منكَ.

وأنا...
أقفُ على حافةِ اللغة
أحاولُ أن أصفكَ

فتخذلني الكلمات
وتسقطُ الحروفُ
كجنودٍ مهزومين

لأنكَ...
أكثرُ من شعر..
وأعمقُ من وصف
وأجملُ
من كلّ ما قيل
وما سيقال.

أنشودةُ الفجر

أنا ابنةُ الليلِ ..
لكني لا أُجيدهُ إلا حين ينكسر
وأنا ابنةُ القيودِ ..
لكني تعلمتُ منها
كيف أصوغُ معصمي
على هيئةِ جناح.

كنتُ أمشي...
وفي قدميَّ ظلُّ السلاسل
وفي صوتي ارتجافُ الذين
لم يسمح لهم أن يقولوا: "نحن".
كنتُ أحملُ اسمي
كجرحٍ صغير
وأخافُ أن يكبرَ
فيصيرُ وطناً.

ثم جاء الفجر...
لا كساعةٍ على جدارِ الزمن
بل كصرخةٍ
خرجتْ من حنجرةِ الأرض
كأنّ الترابَ نفسهُ
قرّر أن يتنفس.

رأيتُ الضوء...
لا يهبطُ من السماء فحسب
بل يخرجُ من العيون
من الأيادي التي كسرتْ بابَ الصمت
من الخطوةِ الأولى
حين قالتْ أنثى:
لن أعودَ إلى القفص.

أنا تلكَ الأنثى...
التي تعلمتْ كيف تسمي خوفها
ثم تخلتْ عنهُ
كما تتخلى الأشجارُ عن أوراقها
كي تولدَ من جديد.

أنا التي كتبتُ الحريةَ
على جدرانِ قلبي أولاً
ثم خرجتُ بها
إلى الشوارع
كي لا تبقى فكرةً
بل تصيرَ حياة.

كسرنا القيد...
لا لأنهُ كان ضعيفاً
بل لأننا صرنا أقوى
صرنا نعرفُ
أنّ الحديدَ لا يهزمُ الأغاني
وأنّ الصوتَ
حين يجتمعُ
يصيرُ نهراً
لا تُوقِفُهُ الحواجز.

غنينا...
فارتبكَ السجّان
ورقصنا...
فضاقتْ بِهِ الزنازين
ورفعنا أسماءنا عالياً
كأنها راياتٌ
لم تُخَطْ من قماش ..
بل من كرامة.

يا فجرَ الحرية...

يا أولَ المعنى بعد التيه
يا وردةً
نبتتْ في شقوقِ التعب
علمتِنا
أنّ الأملَ ليس وعداً
بل قرار.

نحن الشعوبُ التي نهضتْ
لا لأن الطريقَ سهلٌ
بل لأن الوقوفَ
صار مستحيلاً
نحن الذين ..
حين سقطنا
تعلمنا كيف نصعدُ من سقوطِنا
سُلَّماً إلى الضوء.

أنا لا أُغني وحدي...
في صدري آلافُ الحناجر
وفي دمي مدنٌ
تكتبُ نشيدها الأول
بلا خوف.

غداً...
لن يكونَ تكراراً للأمس
بل اختراعاً جديداً للسماء
سنكتبُ أسماءنا
على دفاترِ الشمس
ونعلمُ الأطفال
أنّ الحريةَ
ليست حلماً
بل حقّ.

أنا ابنةُ الفجر الآن ..

أمشي ..
ولا شيء يقيدُ خطاي
أفتحُ ذراعيَّ
كأني أُعانقُ العالم
وأقولُ له:

لقد تأخرنا كثيراً...
لكننا وصلنا.

نشيدُ ما بعد القيد

أحتاجُكِ...
كوطنٍ يعيدُ ترميمَ شتاتي ..
كأرضٍ تعلمتُ عليها
كيف تمشي أنثى بلا خوف
وكسماءٍ
لا تسألني من أكون
بل تحتويني.

أحتاجُكِ...
كقصيدةٍ لم تكتبْ بعد
تبحثُ عن لغتِها في دمي
كأغنيةٍ خرساء
تفتشُ عن صوتِها في حلقي
فأفتحُ لكِ صدري
ليصيرَ حنجرةً
لا تعرفُ الصمت.

لم يكن حبكِ اختياراً...
بل كان كأني أتنفسُ تحت الماء
مدهشاً ..
ومستحيلاً ..
وضرورياً ..
كالحياة حين تحاصرها النهايات.

يا سيدتي...
يا مرآتي حين أتكسر
يا هدوءَ العاصفةِ في داخلي
أنتِ السطرُ الأخير
في حكاياتي ..
وأنتِ البداية
حين ينهارُ كلُّ شيء.

أنا أنثى...
كتبتُ اسمي على جدارِ القيد
ثم كسرتُه
تعلمتُ كيف أرفعُ صوتي
دون أن أستأذنَ الخوف
وكيف أُحولُ ضعفي
إلى جناح.

في عينيكِ...
رأيتُ شعباً
ينهضُ من نومه الثقيل
مدناً تحررُ شوارعها
من خطى الخوف
ونساءً
يخرجنَ من صمتِهنّ
كالفجر.

أحببتُكِ...
لا كأنثى فقط
بل كفكرةٍ تشبهُ الحرية
كرايةٍ
لا تسقطُ
مهما اشتدّت الريح.

معكِ...
أفهمُ أن الثورة
ليست صراخاً
بل تنفسٌ جديد
أن نولدَ مرةً أخرى
بلا قيود ..
بلا خوف ..
بلا حدود.

يا أنتِ...
يا اتساعَ المعنى في قلبي
حين ألمسُ اسمكِ
أشعرُ أنني أكتبُ تاريخاً
لا يُزوَّر ..
وأُعيدُ اختراعَ نفسي
كما تعيدُ الشعوبُ
اختراعَ فجرها.

سنكسرُ القيد...
لا لأنهُ هشٌّ
بل لأننا لم نعد نؤمنُ به،
سنمشي...
لا لأن الطريقُ واضح
بل لأننا صرنا الطريق.

سنغني...
فتسقطُ الجدرانُ
ونضحكُ...
فيهربُ الخوف
كجنديٍّ مهزوم.

أنتِ...
لستِ فقط حبي
بل وجهي الآخر
حين أكونُ حرة
وصوتي
حين أقول: أنا.

وأنا...
كلُّ ما فيكِ
حين تفتحين قلبكِ
ليصيرَ وطناً ..

وحين أُقيمُ فيكِ
كما تقيمُ الشمسُ
في صدر النهار.

أحتاجُكِ...
لا لأكتمل ..
بل لأبدأ ..
لا لأنجو ..
بل لأصير.

نحن الآن...
على حافةِ الضوء
لا نعودُ إلى الوراء
ولا نخافُ السقوط
لأننا تعلمنا
كيف نطير.

مساءٌ من نيسان

إنّه مساءٌ من نيسان...
في أعمقِ مواضعِ الصمت
حيثُ تنطفئُ الكلماتُ قبل أن تولد
وتتردّدُ الحروفُ
كأنها تخشى أن تُفسدَ هذا السكون.

كأنّ السماءَ تهبطُ ببطءٍ على كتفيَّ
لا لتظللني
بل لتثقلني بحنينٍ
لا أعرفُ كيف أضعهُ جانباً
كأنها تعرفُ اسمكِ
وتصرُّ أن تعيده
إلى مسامعي
بطريقتها.

حتى الريحُ...
تخشى أن تهمس
تمرُّ خفيفةً
كخاطرةٍ تراجعتْ في اللحظة الأخيرة
كأنها تخافُ أن توقظكِ
في داخلي.

وذكرُ اسمكِ...
لم يعدْ نداءً
بل صار حِملَ عمرٍ كامل
أحملهُ في صدري
وأمشي
كأني أحملُ مدينةً
لا أبوابَ لها
ولا نوافذ.

الشوارعُ ليستْ خالية...
لكنها اعتادت غيابكِ
تتظاهرُ بالحياة
كي لا تفضحَ فراغها
وفي كلِّ خطوةٍ مني
ترتجفُ حكايةٌ
لم تكتمل.

كأنّ الأرضَ نفسها
تعثرتْ بكِ
ثم فقدتكِ
وصارتْ تعيدُ الخطأَ
في كلِّ عابر.

ينحني الزمنُ في عينيَّ...
كغصنٍ أثقلهُ المطر
يتباطأُ
كي يمنحني فرصةً
لأراكِ
لكنهُ يخونني
ويمضي.

وينكسرُ قلبي...
رويداً... رويداً ..
لا بصوتٍ مسموع
بل كصمتٍ
يتسربُ من بين ضلوعي
وأقاوم...
لا لأنجو
بل كي لا أنساكِ.

إنه مساءٌ من نيسان...
لكن الربيع

لا يمرُّ بي
ولا يعرفُ عنواني
في داخلي
لا تنمو الأزهار
بل تكبرُ صرخاتٌ صامتة
تتعلمُ كيف تعيشُ
دون أن تسمع.

أفتحُ نافذتي...
فلا يدخلُ الهواء
بل تدخلُ الذكرى
تجلسُ على حافةِ الليل
وتحدّقُ بي
كأنّها تسألني:
لماذا لم تنتهِ بعد؟

وأنا...
لا أملكُ جواباً
إلا مزيداً من الانتظار.

كنتِ...
كلَّ ما يمكنُ أن يقال
وكلَّ ما لا يقال
كنتِ المعنى
حين تتعبُ اللغة
والظلَّ
حين يحترقُ الضوء.

والآن...
أبحثُ عنكِ
في الأشياءِ الصغيرة:
في فنجانِ القهوة ..
في ارتباكِ الأغاني ..

في وجوهِ العابرين ..
لكنكِ لا تكونين
إلا في غيابكِ.

يا أنتِ...
يا خطأً جميلاً
أعاد ترتيبَ قلبي
يا وجعاً
علمني كيف أكونُ أعمق
كيف استطعتِ
أن تملئي هذا الفراغ
وأنتِ لستِ هنا؟

أجلسُ مع الليل...
نتقاسمُ وحدتنا
نعدُّ النجومَ
كأنّنا نبحثُ عنكِ بينها
لكن السماءَ
تعرفُ كيف تخفيكِ.

ولعلّ ما يسمونه حباً...
ليس وعداً
ولا لقاءً
ولا يداً تمسكُ يداً

بل هذا تماماً:
أن تعيشي في قلبي
كحقيقةٍ لا ترى
أن أكتبَكِ
ولا أصل
أن أشتاقَ إليكِ
ولا أصرخ
وأن أُخبرَ عنكِ

أكثرَ... بالصمت.

إنّه مساءٌ من نيسان...
وأنا...
ما زلتُ هنا
أرتبُ غيابكِ
كما تُرتَّبُ الأشياءُ الثمينة
وأُخفيكِ
في أعمقِ مكانٍ في قلبي
كي لا يسرقكِ النسيان.

فبعضُ الغياب...
لا ينسى
بل يتحولُ
إلى شكلٍ آخر
من البقاء.

لا أحدُ يعلمُ كيف التقينا

لا أحدَ يعلمُ
كيف بحثنا عن بعضِنا
كأننا خيطا ضوءٍ
انفلتا من يدِ الفجر
وتاها في ليلٍ طويل.

كنتُ أتتبعُ أثرَكِ...
لا على الطرقِ فقط
بل في الجهاتِ التي لا ترى
في مدنٍ بعثرتها الرياح ..
وفي وجوهِ العابرين
حين يخطئونَ ملامحهم
فأظنكِ تمرّين.

كنتُ أفتشُ عنكِ
في ضجيجِ العالم
وفي صمتِه ..
في أغنيةٍ ناقصة ..
وفي كلمةٍ
تعثرتْ قبل أن تقولكِ.

وحين انطفأ نجمٌ في السماء...
لم أقلْ: سقط ..
بل قلتُ: عاد إليكِ ..
وأمسكتُ باسمكِ في داخلي
كأنه آخرُ ما تبقى من الضوء.

سألتُ الليلَ عنكِ...
فأجابني بسكونه
وأخبرتُ الصباحَ بكِ...
فارتبكَ الضوءُ قليلاً

كأنه لم يعتدْ
أن يذكرَ اسمُكِ
بهذه العذوبة.

أنتِ في سماءٍ أخرى
وأنا في شارعٍ آخر
لكنّ المسافاتِ
لم تكن حجةً كافيةً
لنسيانكِ.

كان بابُ قلبي
مفتوحاً لكِ دائماً
لا لأني أنتظرُكِ
بل لأنكِ لم تغادريه أصلاً.

كأنّ القدرَ...
لم يخطبْنا للعالم
بل همسَ فينا سراً واحداً
وقال:
التقيا... ولو بعد حين.

في لياليَّ...
كانت الريحُ تهمسُ باسمكِ
تمرُّ على نافذتي
كأنها تعرفُ الطريق
وتطرقُ قلبي
بخفةِ ذكرى.

ولا أحدَ يعلمُ...
كيف التقينا في التيهِ
كيف عبرنا هذا الضياع
دون أن نغرق
كأننا نجمتانِ

ضلّتا في العتمة
لكنهما
تعرفتا على بعضِهما
بالنور.

يا أنتِ...
يا صدفةً
أعادت ترتيبَ المعنى
كيف صرتِ كلَّ هذا الحضور
وأنتِ بعيدة؟

في عينيكِ...
لم أجدْكِ فقط
بل وجدتُني
كأني كنتُ غائبةً عن نفسي
حتى رأيتكِ.

وفي صوتكِ...
سمعتُ اسمي
لأول مرّة
كما يجب أن يقال.

أنا ابنةُ هذا التيه...
لكني لم أعدْ أضيع
منذ أن سكنتِ خطاي
وصار الطريقُ
يشبهكِ.

لا أحدَ يعلمُ
كيف بدأنا
ولا كيف سننتهي
لكني أعرفُ
أنّ بعضَ اللقاءات
لا تفسر ..

بل تعاش.

وأنكِ...
حين جئتِ
لم تطرقي بابي
بل فتحتِه من داخلي.

لهذا...
أحببتُكِ ..
لا كعابرٍ يمرّ ..
بل كقدرٍ
تأخر كثيراً ..
ثم وصل.

اجعلني ما لا يقال... ويبقى

اجعلني سراً مخبوءاً في قلبك
لا تفضحهُ العيونُ
ولا تعرفهُ الريحُ حين تمرُّ على ملامحك
اجعلني أثراً خفيفاً
كخطوةِ ضوءٍ على ماء
يرى... ولا يمسك.

وفي أعمقِ زوايا قلبك
حيثُ لا تصلُ الضوضاء
ولا يجرؤُ النسيان
اجعلني نوراً
لا يبهر... بل يطمئن
جمرةً تشتعلُ بصمت
وتدفئك
كلّما أوشكَ العالمُ أن يبرد.

اجعلني...
لا اسماً يقال
بل صمتاً يحسّ
ولا وجهاً يرى
بل حضوراً
يجيءُ إليك كلما غبتَ عن نفسك.

في كلِّ ليلةٍ
حين ينامُ الكونُ على كتفِ العتمة
اجعلني حلماً
لا يوقظك... بل يكملك
وعصفوراً
يجيءُ من بعيد
ليلامسَ رموشك
ثم يختبئُ في صدرك

كأنهُ ولد هناك.

وحين ينهضُ الصباحُ من نومه
وتتسللُ الشمسُ كطفلةٍ إلى نافذتك
اهمس باسمي...
لا بصوتٍ عالٍ
بل بذلك الصوتِ الذي تعرفهُ الروحُ
ولا تسمعهُ الآذان.

اجعلني ابتسامةً
تستيقظُ قبلك
وتدلك عليّ
كلما نسيتَ الطريق.

وإن مرَّ الزمنُ...
فلا تتركهُ يأخذني مع الأشياءِ التي تمضي
أنا لستُ عابرةً
أنا ما يبقى حين يرحلُ كلُّ شيء.

اجعلني في ذاكرتك
صيفاً طرياً
لا تذبلُ فيه الحقول
ولا تشيخُ فيه الأغاني
صيفاً يشبهك
حين تكونُ أكثرَك حياة.

وفي ظلِّ حبٍّ لا يكتفي بالعمر
ولا يخافُ من نهاياته
اجعلني دعاءً
لا يقال مرةً وينتهي
بل يتردّدُ فيك
كما يتردّدُ القلبُ في صدرك.

اجعلني...
حين تضعُ رأسك على تعبك
يداً خفيّةً تمسحُ عنك الطريق
وحين تتيه
أكونُ العلامة.

وحين تنكسر
أكونُ صوتك الذي لا يسمعهُ أحد
لكنهُ يعيدك إليك.

أنا لا أطلبُ منك حباً يرى
ولا وعداً يقال
أنا أطلبُ منك
أن أكونَ فيك...
كما تكونُ الروحُ في الجسد:

لا ترى...
لكن لا حياةَ بدونها.

الألمُ الذي لا يرحل

لم يرحلْ أحدٌ تماماً...
هكذا تعلمتُ من قلبي
كلما حاولتُ أن أُصدقَ الغياب.

الراحلون يتقنون فنَّ الاختفاء
لكنهم يتركون ظلَّهم
معلقاً على جدارِ الروح
كصورةٍ لا تسقط...
وإن سقطتْ، انكسرنا بها.

تمحى آثارُ خطاكَ مع الزمن
تغسلها الطرقاتُ
وتنساها الحجارةُ
لكن الوجعَ الذي تركتَهُ فيَّ
لا يتعلمُ النسيان.

يبقى...
كأنه الاسمُ الحقيقيُّ للأشياء
حين تجردُ من أصحابها.

أنا الآن...
أعيشُ جملي ناقصةَ كلمةٍ
كأن اللغةَ فقدت ضلعاً منها
وكلما حاولتُ أن أُكمل المعنى
ينقصني وجهكَ...
فأسقطُ في البياض.

حتى الصمتُ ..
ذلك الذي كنا نلوذُ به
كي لا نبوحَ أكثر
خانني...

صار يهمسُ باسمكَ
كلما ظننتُ أنه نسيكَ.

صدِئتْ ابتسامتكَ في عينيّ
لم تعد تلمعُ كما كانت
لكنها لم تختفِ
صارت أثراً خافتاً
يشبه الضوء
حين يشيخُ في الذاكرة.

والذكرياتُ...
ليست حنونةً كما يقولون
إنها زجاجٌ حادّ
نمشي عليه حفاةً
وكلما أردنا العبور
أعادنا إلى أولِ الجرح.

يقولون: النسيانُ نعمة
وأقول:
ربما النسيانُ كذبةٌ مهذبة
نقولها لأنفسنا
كي لا نعترف
أننا لا نملكُ شجاعةَ الفقد.

فالألمُ...
ليس عدواً كما نظن
إنه شكلٌ آخرُ للتذكر
لغةٌ سرية
تكتبُ بها الروحُ أسماءَ من أحبت
ولا تستطيعُ محوها.

لم يبقَ لا أنتَ... ولا أنا
ذهبنا معاً

لكن شيئاً ثالثاً بقي:
شيءٌ لا اسمَ له
ولا ملامح
إلا أنه يسكنني
كأنه أنا.

غيابكَ ..
لم يكن فراغاً
بل امتلاءً موجعاً
كأنكَ ملأتَ صدري
ثم غادرتَ...
وتركتني أثقلَ من احتمالي.

مرَّ الزمنُ...
قالوا إنه يشفي
لكني لم أعبره
كنتُ أقفُ عندكَ
كأنكَ بدايةُ الطريق ونهايته.

كلما تقدمتُ خطوةً
عاد بي إليكَ
كأن الزمنَ يدور
لا لينسي...
بل ليذكر.

أدركتُ متأخرةً
أنّ أثقلَ ما في الحياة
ليس الفقد
بل ما يبقى بعده.

ذلك الشيء الصامت
الذي لا يرى
ولا يقال

لكنه يعاش
في كل نبضةٍ...
وفي كل محاولةٍ للنسيان.

الألمُ الباقي...
ليس ما يؤلمني لأنكَ رحلت
بل لأنكَ ما زلتَ هنا
بطريقةٍ لا أستطيعُ إنكارها
ولا أملكُ النجاةَ منها.

أنا لا أبكيكَ الآن
أنا أبكي
هذا الجزء الذي صار مني
ولا أعرفُ كيف أعيشه
ولا كيف أتخلى عنه.

الألمُ الباقي...
هو أنتَ
حين لا تكون.

في وداعِ الزيزفون

كان المساءُ ينسدلُ ببطءٍ ..
كأنه يتعلمُ الحزنَ من عينيَّ
وكانت رائحةُ الزيزفون
تتسللُ إلى صدري
لا كعطرٍ عابر
بل كذكرى تعرفُ الطريقَ إلى وجعي.

كنتَ قريباً...
إلى حدٍّ أنني
كنتُ أخافُ أن ألمسك
فأكتشفَ أنّ المسافةَ
ليست بين أيدينا
بل بين قلبين
يتقنانِ الصمتَ أكثرَ من الكلام.

كنتُ أنظرُ إليك—
وفي كلِّ نظرةٍ
كانت تولدُ جملةٌ كاملة
مكتملةُ المعنى
ناقصةُ الجرأة
فنبتلعها
كما يبتلعُ الغريقُ آخرَ هواءٍ
دون أن يصرخ.

الحبُّ بيننا ..
لم يكن وعداً
بل كان فنجاناً واحداً
تركناه على الطاولة
ليبردَ بهدوء
كنتَ ترتشفُ الوقت

وأنا
أرتشفُ الانتظار...
حتى صار قلبي
مذاقاً مرّاً لا يعرفُ:
أهو نبيذٌ
أم دمعةٌ مؤجَّلة؟

في ذلك الصيف ..
حين أزهرتِ الزيزفوناتُ
كأنها تعتذرُ عن العالم
كنتُ أزهرُ أنا أيضاً—
لكن على هيئةِ وداع.

يدك في يدي
كانت وطناً مؤقتاً
وكان قلبي
يتدربُ سراً
على أن ينجو
من دونك.

كنتُ أبتسمُ لك
وأنا أخبئُ في ابتسامتي
خرائطَ الرحيل
كنتُ أقول: "سنلتقي"
وأعرفُ أنّ الطرقَ
تتواطأُ علينا
لتفترق.

تعرف؟
أحياناً
لا يكونُ البعدُ هو الفقد
بل القربُ
حين يصبحُ أثقلَ من احتمال القلب

حين نجلسُ جنباً إلى جنبٍ
ولا نلتقي ..
وحين تلمسُ يدي
ولا تصلُ إليَّ.

ما لم أقلْه لك
علقته الريحُ
على أغصانِ الزيزفون
كلُّ كلمةٍ
تحولت إلى رائحة
وكلُّ رائحةٍ
صارت ذاكرةً
لا ترى...
لكنها
تقيمُ في صدري
كبيتٍ لا يغادره أحد.

الآن ..
كلّما مررتُ بطريقٍ
تتدلى فيه الزيزفونات
أشعرُ أنّ قلبي
يستيقظُ من غيابه
يركضُ نحوك
ثم يعودُ إليَّ
خاليَ اليدين
محملاً فقط
بأثرِك.

أنا التي ..
لم أقلْ لك "ابقَ"
ولا قلتُ لنفسي "ارحلي"
أنا التي ..
وقفتُ بيننا

كحدٍّ فاصلٍ
لا ينتمي لأيٍّ منا.

وحدها الرائحةُ
لم تخنا—
تأتي ..
تلمسُ وجهي
وتهمس:
"كان يمكنُ للحبِّ
أن يعيش...
لو أنكما
أجدتما الكلام."

لكننا
اخترنا الصمت
فكان وداعنا
أجملَ ما فينا...
وأقسى ما تبقى.

سِرُّ الصمت

أنتَ...
كسرٍّ ينامُ في خاصرةِ الليل
لا يرى ..
لكنه يمسكُ بنبضي
كلما حاولتُ أن أنجو مني.

لستَ صوتاً ..
كي أسمعك
ولا صمتاً ..
كي أنساك
أنتَ تلك المنطقةُ المعلقة
بين القولِ والغياب
حيثُ تتعبُ اللغةُ
وتبدأُ الحيرةُ في الكلام.

في داخلي
يمشي اسمٌ لا أعرفه
يشبهك...
ولا يشبه سواك
كلُّ ظلٍّ يمرُّ على قلبي
يتركُ أثراً منك
كأنك ضوءٌ خجول
يتخفى في هيئةِ عتمة.

أأنتَ همسةٌ
ضلت طريقها إلى الريح
فسكنتْ صدري؟
أم أنك شيءٌ
ينمو ببطءٍ في أعماقي
كشجرةٍ لا ترى

لكن جذورها
تتسلقُ روحي؟

كلما احتميتُ بالصمت
سمعتك أكثر...
كأنّ الصمتَ بابٌ
وأنتَ المفتاح
أدخلهُ لأختبئ
فأجدني أشتعل.

أحترقُ بك ..
دون نار
وأحيا بك
دون أن ألمسك
كأنّ الحبَّ
لم يخلق ليقال
بل ليعاش في الخفاء.

أفي عينيكَ
كلُّ هذا الغموض
أم أنني
أنا التي تضيءُ ظلالك؟
وأيُّنا
يخترعُ الآخر
في هذا الليل الطويل؟

أنتَ ..
نافذةُ براءتي الأخيرة
أنظرُ إليك منها
فأصيرُ أخفَّ من قلبي
أحبك...
دون أن أعرفَ كيف
ودون أن أجرؤَ

على الاعترافِ بأنني أحبك.

أشعرُ بك
كما تشعرُ الأرضُ بالمطر
قبل أن يهطل
كما تعرفُ الوردةُ
أنها ستتفتح
دون أن ترى الربيع.

أنتَ قصيدةٌ ..
كتبت على العتمة
لا تقرأُ بالعين
بل ترتّلها الروح
لا تملأُ صفحةً بيضاء
لكنها تملأني.

كلما صمتَّ
اتسعت فيك المعاني
وصرتَ أكثرَ وضوحاً
كلما غبت
وأنا...
كلما أصغيتُ إليك
تفكّكتُ
كأنني أعودُ
إلى اسمي الأول.

فيك ..
كلُّ ما لا يقال
وفيّ
كلُّ ما لا يحتمل
وبيننا
يمشي هذا السرّ
كقدرٍ صغير

لا يريدُ أن يفهم.

أخافُك...
لأنك تشبهني
حين أكونُ وحدي
وأحبك...
لأنك تنقذُ وحدتي
من أن تكون كاملة.

يا أنتَ ..
الذي لا يسمى
كيف استطعتَ
أن تزرعني فيك
وأنا
لم ألمسك يوماً؟

كيف صار قلبي
بيتاً لصمتك
وصرتُ أنا
صدى
لما لم تقله؟

علمني—
إن كان للحبّ لغة—
كيف أقولك
أو كيف أنساك
أو كيف أبقى
معلقةً بينك
وبيني...

كسرٍّ لا يكشف
وصمتٍ لا ينتهي.

ليالٍ ترتدي الظلم

ليالٍ ترتدي الظلمَ في داخلي
كأنها قميصُ روحٍ مثقلٍ بالغياب
كلُّ نفسٍ جرحٌ يتنفس
وكلُّ لحظةٍ كفنٌ
يتعلمُ كيف يغلقُ الضوءَ على صاحبه.

بابٌ حديديٌّ
لا يعرفُ معنى الرجاء
يصمتُ كما لو أنّ الصمتَ
لغةُ هذا المكان
والجدرانُ لا تصغي
كأنها تعلمتْ منذ زمنٍ
أن لا أحدَ يعود.

أشعرُ أنني نفيتُ مني
قبل أن أكتمل
وأنّ اسمي
تأخر عن ولادتي
وأنّ عمري
معلقٌ خارج الزمن
ينتظرُ إذنَ الدخول
ولا يأتي.

في الذاكرةِ
زوجُ عينين...
عميقتين كأنهما
آخرُ ما تبقى من سماءٍ لم تغلق
كلما همستُ باسمك
تكسّر صوتي
كزجاجٍ خائفٍ من ملامسةِ الحقيقة.

هنا...
السجنُ لا يكتفي بالجسد
بل يتسللُ إلى الروح
يسكتُ أكثر القلوبِ جنوناً
ويجعلُ الحلمَ
ترفاً مؤجّلاً.

أنا
أسيرُ وحدتي
لا كضحيةٍ فقط
بل كمن تعلمَ أن يمشي
داخل غيابه
محكومٌ على جسدي بالصمت
وعلى قلبي
بالاستمرار.

في داخلي ذكرياتٌ
تلمعُ كالرصاص
لا تقتلُ بسهولة
كلُّ واحدةٍ قيدٌ
وكلُّ واحدةٍ
تعيدني إليّ
بألمٍ جديد.

ليس الحديدُ
ما يوجعُ معصمي
بل الحنين ..
ذاك السوطُ الهادئ
الذي لا يرى
لكنه يكتبني كلَّ يومٍ
من جديد.

أنتظرُ ..
كما تنتظرُ أمٌّ دعاءها
بصبرٍ لا يشبهُ البشر
وبإيمانٍ لا يعرفه الزمن
كأنّ الانتظارَ
هو الشكلُ الوحيدُ للبقاء.

يقولون إنّ في الخارج ربيعاً
وأنا لا أعرفُ أهو حقيقةٌ
أم كذبةٌ جميلة
هنا ..
لا تتساقطُ أوراقُ التقويم
بل تتساقطُ القلوب
ببطءٍ
ولا يسمعها أحد.

زُرِع الظلمُ
في حقلِ قدري
كأنّه قدرٌ آخرُ يشبهني
وأنا أحصدُ الدموع
كلَّ ليلة
لا كفعلٍ
بل كطقسٍ يوميٍّ
لا أستطيعُ نسيانه.

وأخيراً ..
أبقى أنا
شابة تتقنُ البقاء
في قلبٍ ما لا يحتمل
تكتبُ على جدرانِ الصمت
اسماً لا يراه أحد
لكنه يحيا في داخلي
كجرحٍ
لا يريدُ أن يشفى.

السِّجن

في القفصِ تبحثُ الطيورُ عن السماءِ
وفي السجنِ
تتعلمُ القلوبُ كيف تحبُّ بصمتٍ
كي لا يفضحها الوجع.

هنا...
الجدرانُ ليست حجارةً فقط
بل ذاكرةٌ من حديد
تتنهدُ كلما مرَّ اسمُ الحرية
في خيالِ الأسير.

بين الشقوقِ
تنبتُ بذورُ الأمل
كأنّ الأرضَ هنا
لم تفقدْ قدرتها على الحلم
وكأنّ الضوءَ
يصرّ على الولادة
ولو من عتمةٍ كاملة.

تسقطُ الأغاني
من أفواهِ الليل
لا لأنها ماتت
بل لأنها تعبت من الغناء
في وجهِ الصمت.

وفي السماءِ—
التي تبدو بعيدةً كوعدٍ لا يمسك—
تتألقُ النجوم
كعيونٍ صغيرةٍ
تراقبُ ما لا يقال
وتواسي قلوباً

تعرفُ معنى أن تكونَ محاصراً
من دون أن تنكسر.

في الداخلِ
لا تبنى البيوت
بل تبنى الصداقاتُ من رمادِ الانتظار
أرواحٌ تتعارفُ في العتمة
كأنها ولدتْ لتضيءَ بعضها
وتتعلمُ أن الحبَّ
لا يحتاجُ إلى ضوءٍ
كي ينجو.

لا يذبلُ الحبُّ هنا
بل يزدادُ صلابةً
كجذرٍ يشقُّ الصخرَ
ليصلَ إلى فكرةِ الحياة.

على جدرانِ الصبر
تكتبُ أسماءٌ لا تموت
وكلماتُ تمردٍ
لا تحتاجُ إلى صوتٍ
كي تسمع
يكفي أن تنبضَ في قلبٍ
رفضَ أن يكونَ رقماً
في سجلِّ الغياب.

يمرُّ الزمنُ هنا
بخطى ثقيلة ..
يتبدلُ شكله
لكنه لا يجرؤ على كسرِنا
فنحنُ لا نعيشه...
بل نقاومه.

يقولون إنّ الليلَ طويل ..

لكننا ..
نصنعُ من طوله طريقاً
إلى الحلم ..
ونعلقُ فوقه
خرائطَ صغيرةً للنجاة.

وفي القلبِ الأسير
لا ينطفئُ شيء
حتى حين ينهكه الحزن
يبقى هناك ضوءٌ خفيّ
يشبهُ عنادَ الحياة
ويشبهُ امرأةً
تكتبُ اسمَ وطنها
على جدارٍ لا ينصت.

الشعرُ ليس زينةً للكلام
بل جناحٌ خفيّ
يحلقُ بالحكاياتِ خارج القفص
ويفتحُ في الصمتِ أبواباً
لا يراها السجّان.

وفي القلوبِ المحاصرة
يبقى الحبُّ
آخرَ ما يهزم
وأولَ ما ينهض
كأنه ولدَ
ليقول للعالم:
إنّ الجدرانَ لا تعرفُ كيف توقفُ الروح.

فنحنُ هنا...
لا ننتظرُ الحرية فقط
بل نشبهها
في كلِّ ما لم يكسرْ فينا بعد.

أعرفُ أن الطرقَ إليكِ مغلقة

أعرفُ أن الطرقَ إليكِ مغلقة
لا لأن العالمَ ضاق ..
بل لأن الجهاتِ كلّها
تعلمتْ أن تغلقَ نفسها حين أمرُّ بها.

كما تغلقُ المدنُ أبوابها في وجهِ الغريب
أُغلقُ أنا على نفسي
كي لا أبدو خاسرةً أمام الفراغ.

وأعرفُ أن الفراغَ
ليس مكاناً...
بل طريقةُ العالمِ في نسياني
وأن عينيَّ
لا تتعبان من النظر
بل من عدمِ وصولِ ما تنظران إليه.

أحلامي خلف الجبال
لا تنام ..
لكنها تتدربُ على التنفسِ بصعوبة
كأنها أسرى
يحفظون أسماءهم
كي لا يسقطوا من ذاكرتهم.

حين حاولتُ تتبعَ الحبِّ
لم أتتبّعه كطريق
بل كأثرِ غيابٍ على التراب
لكن الأثرَ
كان يتفرعُ في كلِّ اتجاه
حتى عدتُ إليّ
وأنا أكثرُ ضياعاً
مما بدأتُ به.

كلُّ خطوةٍ
كانت تعيدني إلى قلبي
وكلُّ عودةٍ
كانت تعيد تعريف الشوق
بوصفه وطناً صغيراً
لا يسكنه أحد.

حتى النجومُ ..
حين تشعل السماء
لا تنقذُ دربي
بل تحيله إلى مرآةٍ أوسع للعتمة
كأن الضوءَ هنا
ليس ليرى
بل ليثبتَ أن الرؤيةَ
ليست خلاصاً دائماً.

في صدري ..
أبوابٌ لم تكسر
بل أُغلقت بأدبٍ شديد
كأن الفقدَ
كائنٌ مثقف
يعرفُ كيف ينسحبُ دون ضجيج
وكيف يتركُ قلباً
بلا شهود.

أنا لستُ يائساً
أنا فقط تتعلمُ كيف تبقى
من دون أن تملكَ أسبابَ البقاء
وكيف تقاومُ
من دون أن ترفعَ رايةً.

كلُّ طريقٍ مغلقٍ
ليس نهاية ..

بل شكلٌ آخرُ من السؤال
سؤالٌ يجربُ جسدي
قبل أن يتركه معلقاً في الهواء
بين احتمالين:
ولادةٌ لا تشبهني
أو انكسارٌ أعرفه جيداً.

أتعلمُ الآن ..
أن أمشي في خرائطَ لا تشبه الخرائط
أن أبحثَ عنكِ
كما يبحثُ العابرُ عن ظله
في مدينةٍ بلا مرايا
وأن أؤمنَ
أن الضياعَ
ليس سقوطاً
بل طريقةُ الأرضِ
لتعيدنا إليها.

سأمضي...
لا كمن يهرب من جدار
بل كمن يختبرُ أن يكونَ جداراً أيضاً
أن أتحمّلَ شكلي حين أُهزم
وأحيا ..
كأنني لا أحتاجُ شهادةَ وصول.

وربما يوماً ..
تتذكر الطرقُ اسمي
لا لأنني وصلت
بل لأنني مررتُ فيها كثيراً
حتى نسيتُ أنني عابرة.

وأصلُ...
لا كمنتصرٍ

بل كأثرٍ متأخرٍ للحنين
كصوتٍ لم ينطق
لكنه ظلّ يوجعُ اللغة.

إيماني بالحبِّ
ليس يقيناً ..
بل محاولةٌ مستمرةٌ لعدم السقوط
وجرحٌ يعرفُ طريقه جيداً إليّ.

وقلبي
ليس بوصلةً فقط
بل رجلٌ أعمى
يضعُ يده في يدِ العتمة
ويمشي...
كأنه يعرفُ النور
ولو لم يره يوماً.

الشوق

في منتصفِ الليل...
حين يغفو الأملُ على كتفِ السكون
تسللتِ إلى ذهني
كقمرٍ ربيعيٍّ ..
طرقَ بابَ قلبي
وأيقظتِ كلَّ ما فيَّ من حياة.

فامتلأ صدري بالشوق
لا كعاطفةٍ عابرة
بل كبحرٍ
نسيَ كيف يهدأ
وصارت عيناي
تبحثان عنكِ
في الجهاتِ كلها
كأنكِ اختبأتِ
في معنى الأشياء.

الشوقُ...
يا احتراقَ الكلمة ..
ويا سكينَ الألمِ
يغوصُ في القلبِ بهدوء
دون أن يصرخ
دون أن ينذر
وأنا...
أتعلمُ كيف أنزفكِ
بصمتٍ.

أشتهي حضوركِ
كما يشتهي الغريقُ نفساً واحداً
أتمنى لو تأتينَ

لتجمعيني من تكسري
لأحتضنكِ ..
فينتهي هذا التبعثر
وهذا الحنينُ
الذي لا يعرفُ له نهاية.

أمشي في الطرقات
وحيدةً
لكنّ خطواتي
ممتلئةٌ بكِ
وكلما تساقطت
ذكرياتنا في رأسي
كأوراقِ خريفٍ لا ينتهي
يرتسمُ على وجهي
ابتسامٌ خفيف
كأنّ الحزنَ
تعلمَ كيف يتجمّل.

آهِ يا حبي...
يا ذاتَ القلبِ الذي يشبهُ الماءَ
لم أحبكِ دفعةً واحدة
بل تسللتِ إليَّ
كما يتسللُ الضوءُ
من نافذةٍ مفتوحة
رويداً ..
رويداً ..
حتى صرتِ
الهواءَ الذي لا أراه
لكنني أختنقُ بدونه.

أحبكِ...
كضوءِ القمرِ في آخرِ الليل
لأصيرَ أقربَ إليكِ

أنتِ لستِ في قلبي
أنتِ القلبُ
حين يتذكرُ كيف ينبض.

أن أحبكِ
هو أن أعيش
بكلِّ هذا الضعف الجميل
أن أتجاوزَ العالم
دون أن أهرب منه
أن أكونَ أنا
وأنتِ
في جسدٍ واحدٍ
من الشوق.

يا حبيبتي ..
أنا غارقةٌ فيكِ
لا كغرقٍ يُميت
بل كغرقٍ يعيدني
إلى نفسي الأولى.

أنتِ...
كلُّ هذا الشوق
كلُّ هذا الامتداد في الألم
وكلُّ هذا الضوء
الذي لا ينطفئ،
حتى حين
أُغلِقُ عينيَّ
عليكِ.

اليراعة

في الليلِ الذي ينسى اسمهُ بين عتمتين
تلمعُ اليراعةُ كأنها فكرةٌ صغيرةٌ
هُرّبت من يدِ الظلام
وتتقدمُ نحوي
كمن يعرفُ أن القلبَ
ليس مكاناً آمناً دائماً.

لا تضيءُ العالمَ كثيراً...
تكفي نفسها
وتكفيني أنا
لأرى هشاشةَ هذا الكون
وهو يتعلمُ النور
من جسدٍ صغير.

تمشي فوق العتمة
كأنها لا تخافها
ترقصُ على حدودِ الغياب
وتتركُ خلفها
أثراً يشبهُ الدهشة
وأثراً آخر
يشبهُ الأمل حين يتعبُ من الانتظار.

أفكرُ:
كيف لشيءٍ بهذا الصِغر
أن يهزمَ هذا الليلَ الواسع؟
وكيف لنقطةِ ضوءٍ واحدةٍ
أن تربك هذا السوادَ كله
من دون أن ترفعَ صوتها؟

يا أيتها اليراعة...
أأنتِ نبوءةُ الضوء

في زمنٍ يتدربُ على العتمة؟
أم أنكِ قلبٌ
تخفى في هيئةِ شرارةٍ
كي لا يراه الانطفاء؟

أراكِ ..
فأرى قلبي من جديد
لا كما كان
بل كما كان يمكنُ أن يكون:
أخفّ من وجعه
أقرب إلى الضوء
وأقلَّ خيانةً لظلاله.

أيتها التي تشبهين اليراعة
علمني كيف أُضيءُ من دون ادعاء
وكيف أمرُّ في العتمة
من دون أن أطلبَ منها إذناً.

اقتربي...
ليس لأراكِ فقط
بل لأفهمَ
كيف يتحولُ الضوءُ
إلى لغةٍ صغيرةٍ
تفهمها الأرواح
ولا تشرحها الكلمات.

لنرقص معاً
على حافةِ هذا الليل
لا كمنتصرين
بل ككائنين
نجا أحدهما بالآخر
من فكرةِ الانطفاء.

فنورِكِ ليس خارجاً عني
بل هو ذلك الجزءُ مني
الذي نسيتهُ طويلاً
فجاءتِ اليراعةُ
لتذكرني
أن في القلبِ
مكاناً لا يموت.

الفِراق

في عينيَّ
لا دموعٌ فقط ..
بل ماءُ ذاكرةٍ
يعيدُ ترتيبكِ كلما حاولتُ نسيانكِ
وفي قلبي
وجعٌ يتدربُ على اسمه
ولا يتقنه.

جاء الفراقُ ..
لا كضيفٍ عابر
بل كريحٍ تعرفُ خرائطنا
فمزقنا
كما يمزقُ بريدٌ قديم
وتركنا
أشلاءَ معنىً
كنا نسميه: نحن.

تلك اللحظاتُ
لم تمت ..
تغير شكلها فقط
صارت صوراً بعيدةً
تلوّحُ من خلفِ الزمن
وتسألني:
أيُّنا كان الحقيقة؟

في السماءِ ..
تسقطُ نجومٌ لا نراها
وفي صدري
يثقلُ غيابكِ
كغيمةٍ سوداء

تقيمُ ولا تمطر
كأنّ الحزنَ
اتخذَ جسدي
عنواناً مؤقّتاً للأبد.

ربما افترقت طرقنا
لا لأنها ضاقت
بل لأنها تعبت من تشابهِ خطانا
وانتهى ما كان
كما ينتهي الكلامُ
حين يخونُه المعنى.

لكن—
لا تنسي:
مكانكِ في قلبي
ليس اسماً يمحى
بل ندبةٌ جميلة
تضيءُ كلما مررتُ بها.

أفكرُ بكِ كلَّ يوم
لا كذكرى ..
بل كعادةٍ
لا يعرفُ جسدي كيف يخلعها
وأشتاق—
كمن يفتقدُ صوته
بعد صمتٍ طويل.

والألمُ...
يتعلمُ ببطءٍ
كيف يصمت
لا لأنه انتهى
بل لأنه صار
أعمقَ من الكلام.

الفراقُ قاسٍ ..
نعم ..
لكنّ الحياة
لا تتوقفُ عند بابٍ واحد
تفتحُ نوافذَ أخرى
وتسربُ ضوءاً جديداً
إلى قلبٍ
كان يظنُّ أنّه اكتفى بالعتمة.

وربما...
تلتئمُ الجراح
لا لأنها شُفيت
بل لأنها تعلمتْ
كيف تعيشُ بهدوء
ويطرقُ بابَ القلب
حبٌّ آخر ..
لا يشبهكِ—
ولا يحاول.

وتبدأ حياةٌ أخرى ..
لا كبديلٍ عنكِ
بل كامتدادٍ لغيابكِ
كأنّ الفراق
لم يكن نهاية
بل طريقةً أخرى
لأحبكِ
من بعيد.

الأنقاض

في قلبي
أحلامٌ مكسورة ..
ومدينةٌ منفيةٌ من التاريخ
وملايينُ الأيتامِ والمشردين ..
كأنّ الفجرَ لفظهم
خارج صفحاته.

سقطتْ فجأةً
من يدِ الطغاة
وتناثرتْ شوارعها في داخلي
كزجاجٍ
لا يجرحُ إلا من يحبه.

لم تكن مدينةً فقط...
كانت فكرةً عن الضوء
حين يحاصر ..
وكانت خبزاً في فمِ الجوع
وصوتاً يكابرُ الصمت.

في داخلي ..
لا أنقاضُ حجرٍ فقط
بل أنقاضُ ذاكرة
وأمٌّ تنتظرُ أسماءَ أبنائها
وأبٌ يتكئُ على الغياب
كأنه وطنٌ بديل.

كلُّ ما سقط لم يختفِ
بل انتقل إليّ
وصار خرائطَ من وجعٍ
أمشي عليها
دون أن أعرفَ أين البداية.

أيّها العالم...
لسنا أرقاماً في نشراتك
نحنُ حكاياتٌ
لم تكتملْ عمداً
وأحلامٌ
أُطفئت وهي تمشي.

أنا ابنةُ هذا الركام
لا كضحيةٍ
بل كشاهدةٍ لا تنسى
أحملُ المدينةَ في صدري
كما يحملُ السرّ
وكما يحملُ الجرح
حين يصبحُ هوية.

ورغم هذا الانهيار...
أتعلمُ أن أقف
لا على أنقاضهم
بل على ما تبقى فيّ
من ضوءٍ عنيد.

فكلُّ ما أرادوه أن نصمت
لكننا ..
تعلمنا أن نحلم
بصوتٍ أعلى من الرصاص.

ذاكرةُ الليل

في السماءِ
لا تتلألأ النجومُ كما نظنّ
بل تتذكرُ ما كانَ فيها من انطفاءٍ
وتقاومهُ
بضوءٍ خفيفٍ
يشبهُ اعتذاراً متأخراً
عن ظلامٍ لم يكتمل.

أنظرُ إليها...
لا كسماءٍ بعيدة
بل كأرشيفٍ قديمٍ للنجاة
وأفكر:
كم نجمةً سقطتْ
ولم يدوَّن سقوطها
وكم أمنيةٍ
انكسرتْ في طريقها إلى الفم
فاختارت الصمتَ
بدل أن تولد.

الليلُ ليس فراغاً
بل ذاكرةُ من أُطفئت أسماؤهم
جدارٌ واسعٌ
يستقبلُ ما لا يقال:
الحزنَ حين يصبحُ لغة
والانتظارَ حين يصبحُ وطناً
وأسماءَ من مروا
كما يمرُّ الغريبُ على نفسه
ولا يتوقف.

النجومُ...
لا تضيءُ العالم ..

بل تفضحه قليلاً
تجعلُ العتمةَ أكثر وضوحاً
وأكثر احتمالاً.
و تبدو بعيدةً
كأنها تعتذرُ عنا
لأننا لم نكن خفيفين بما يكفي
لنصلَ إليها.

تسقطُ النجومُ...
لكن ليس في السماء
بل في الداخل
حين نتقنُ إخفاءَ أمنياتنا
حتى تصيرَ جزءاً من القلب
لا يقال ..
ولا يشفى.

في هذا الليل ..
لا يكون الحزنُ طارئاً
بل نظاماً قديماً للعالم
لغةً سريةً
تتسللُ بين نبض الأمنيات
كأنّ الدعاءَ نفسه
لم يعد يصعد
بل يستديرُ داخلنا
ويستقرّ كجرحٍ هادئ.

وحين ننظرُ إلى العتمة
لا نرى فراغاً ..
بل احتمالَ ضوءٍ لم يولد بعد
نجمةً تتعلمُ التردد
بين أن تكون
أو أن تنجى.

يمرُّ الحزنُ
كمن يعرفُ الطريقَ إلى القلب
لا يطرقُ الباب
بل يدخلُ كذاكرة
ويتركُ خلفه أبواباً تنزفُ من ألفِ عام
قلباً
أكثر هدوءاً
وأقلَّ يقيناً.

من دون أن ننتبه ..
تبدأ النجومُ بإعادةِ ترتيبِ السماء
كأنها لا تزينها
بل تُرمّمُ ما تهدّم منها
وتهمسُ لنا:
لسنا للضوء فقط
بل لئلا تسقطَ العتمةُ كاملةً.

لا تنسَ أن كلَّ ليلٍ
ليس نهايةً
بل شكلٌ آخرُ من الانتظار
وأن في أعماق الظلمة
نوراً لا يتعجلُ الخروج
بل ينتظرُ
أن نصبحَ خفيفين بما يكفي
لنراه.

اتركِ الحزنَ...
لا لكي يختفي
بل لكي يتحول
وامشِ في الليل
كما يمشي من نجا من نفسه
بهدوءٍ يشبهُ الاعتراف
وبقلبٍ يتعلمُ أن يصدّق
أن السماء ليست بعيدةً...
بل نحنُ الذين ابتعدنا
عن حنجرةِ الليل.

ليلةٌ خجولة

في ليلةٍ خجولةٍ ..
لا نأتي كما يُؤتَى
بل كما تُؤتى الذاكرةُ من غفلتها
فنلجُ بعضنا
كأننا كنا هناك منذ البداية
وكأنّ الطريقَ
لم يكن إلا نسياناً مؤجّلاً.

تعالَ إلينا فجأةً
لا كزائرٍ عابر
بل كاحتمالٍ قديمٍ
أخرهُ الزمن
وليخجلِ القمرُ من ضوئه المتردد
كأنه يرانا أول مرة
ولا يدري
أعلينا أن يضيءَ
أم أن ينسحب.

لا فراقَ يبقى كما كان
ولا فرحٌ يكتمل ..
كلُّ شيءٍ هنا
يتعلمُ أن يكون ناقصاً
كي يشبهنا أكثر.

تصيرُ الكلماتُ
لا كلاماً
بل أثراً لصوتٍ
لم نجرؤ على نطقه
وسراً
ينام بين قلبين

لا يعرفان كيف يفترقان.

تبكي السعادةُ...
لا من حزنها
بل من كثرة ما تجبرُ على الاختباء
ويجلسُ الحزنُ إلى جوارها
كأنه يعرفها منذ أول وجع
ولا يسألها: لماذا جئتِ؟

ويختبئ الحبُّ
خلف الجدران الصامتة
لا خوفاً من العيون
بل احتراماً لما لا يقال
كأنه يخشى أن يصير واضحاً
فيخسر غموضه الجميل.

نصمتُ نحن...
لا لأن في الصمتِ فراغاً
بل لأنه لغةٌ ثانيةٌ للجسد
تتكلمُ فيها الأيدي حين تخونُ الشفاه
وتكتبُ فيها العيونُ
ما لا تقوله اللغة.

قلوبنا تتكلم
لكن ليس كما نتكلم
بل كما تجرحُ الأشياءُ
حين تقتربُ من حقيقتها
وكما يهمسُ الداخلُ للداخل:
كنا هنا...
ولم نكن نعرف.

وفي تلك الليلة ..
لا ينتهي شيء
ولا يبدأ شيء
بل يحدثُ كلُّ شيءٍ دفعةً واحدة
كأن الزمنَ
نسيَ ترتيب نفسه
ليتركنا على حقيقتنا
مرةً واحدة.

سلطنةُ الجهل

يعتلي الجهلُ عرشَهُ
لا لأن له حقّاً في الجلوس
بل لأن الصمتَ
اتسع أكثرَ من السؤال
وسط تصفيقٍ
يشبهُ نسياناً جماعياً للعقل
ويكبرُ في الزحام
كلما علا الضجيجُ
واختلطت الحقيقةُ بالكذب
حتى لم يعد أحدٌ
يميزُ بين وجهيهما.

يصبحُ التفكيرُ عبئاً
كأنه حجرٌ في طريقِ القطيع
ويصيرُ السؤالُ جريمةً
تكتبُ على بوابةِ الخوف
ويخنقُ الحقُّ بصمتٍ
لا يسمع
بين صخبٍ
يتقنُ تزييفَ نفسه
كلّ لحظة.

يصبحُ الكتابُ عدواً
لا لأنه يجرح
بل لأنه يوقظ
ويصيرُ السؤالُ خطراً
كأنه بابٌ خلفه نورٌ
لا يراد له أن يفتح
وتنفى المعرفةُ
إلى منفى العالم

حيث تعاملُ كغريبٍ
لا يشبهُ أحداً
ولا يجدُ له اسماً.

وأكثرُ الأفكارِ فراغاً
ترتفعُ أعلى الأصوات
كأن الضجيجَ
صار معيارَ الحقيقة
تحكمُ بلا خجل
وتقضي بلا عقل
وتصفقُ لنفسها
كأنها انتصرت
على الفهم.

فالجهلُ ليس فقط ألا نعلم
بل أن نتواطأ على ألا نعلم
أن نغلقَ أبوابَ الداخل
ونكتفي بما يقال لنا
أن نعيشَ في ظلِّ إجابةٍ جاهزة
ونخافَ السؤال
كأنه بدايةُ المنفى.

إنه الامتناعُ عن النور
لا لأن النور بعيد
بل لأن العيونَ
تعلمت العتمة
جريمةُ الرفضِ للمعرفة
حين يصبحُ العقلُ
تهمةً قابلةً للعقاب.

ومن لا يجرؤ على إشعال شمعة
لا يلعنُ الظلام فقط
بل يتواطأ معه
حتى يصيرَ الظلامُ
وطناً لا يسأل
وحقيقةً لا تمسّ.

نشيد الاحتراق المؤجَّل

عيناياَ ليستا مجرد نافذتين إلى العالم...
إنهما حقلُ احتراقٍ قديم
تتبادل فيه الذاكرةُ ..
والفداءُ أدوارهما قبل الرحيل
كأنّ الإنسان لا يرى إلا بقدر ما يحترق في داخله.

أرى... فأحترق
وأحترق... كي أرى بوضوحٍ أكبر.
وكأنّ الضوء لا يمنح مجاناً
بل ينتزع من رماد القلب
من هشيم التجربة
ومن وجعٍ يتعلم أن يكون بصيرة.

يا ربيعنا الذي تأخر كثيراً ..
يا وعداً يعلق نفسه على مشنقة الانتظار
لن تغيب...
ولو حاول الغياب أن يتقن فنَّ الاختفاء
ولو تواطأت الأزمنة على محو اسمك من الذاكرة.

نحن الذين تعلمنا الشقاء كأنه لغةٌ ثانية
نتنفسه مع كل صباح
ونضعه على موائدنا بدل الخبز
ونسميه الحياة
لا لأننا نؤمن به ..
بل لأننا أُجبرنا عليه.

كفانا...
كفانا أن نتنفس الزيت والغبار ..
أن نفتح صدورنا لريحٍ لا تشبه الريح
ولسماءٍ نسيت لونها الأزرق
في الحرب الطويلة على المعنى.

في الساحة ..
يقف تمثالٌ للميدان...
لا يتحرك
لكنه يعرف أكثر منا كيف يخفي وجعه.
عيونه من حجر
ومع ذلك يبكي في صمته
كلُّ الذين مروا ولم يعودوا
كأنّ الغياب صار ذاكرةً متكلسة.

أمدّ يدي إلى الظل
فلا يعود لي شيء سوى صدى الخطى.
كأنّ المدن تحولت إلى ممراتٍ للغائبين
وكأننا نحن الذين بقينا
صرنا أقلّ من نجاة
وأكثر من انتظارٍ طويلٍ لا يشيخ.

ومع ذلك...
فليأتِ الرحيل ..
إن كان لا بد له أن يأتي
لكن لا كخاتمةٍ باردة
بل كبابٍ يفتح على اتساع السؤال
وعلى احتمال حياةٍ أخرى أكثر صدقاً.

وليأتِ موسم الحصاد ..
لا لنحصد ما زرعوه فينا
بل لنحصد ما تبقى من أصواتنا
من أرغفة الأحلام التي لم تكتمل
ومن وجوهٍ ضاعت بين الحواجز والحصار
كأنها كانت تبحث عن اسمها الإنساني الأول.

أعرف جيداً...
لن تضيع السفن بين الأمواج والرياح
ما دامت الذاكرةُ ملحاً في دمنا

وما دامت الجذورُ ترفض أن تتحول إلى رماد.

تعلمتُ أن الحبَّ
شكلٌ من أشكال المقاومة

وأخافُ ..
أن يتحول البحرُ إلى جدار
وأن تصبح الريحُ شرطاً للعبور
لا للحرية ..
وأن يختزل الإنسان
في اتجاهٍ واحدٍ فقط.

على دروبِ الأمِّ...
أسمعُ أغنيةً تأتي من خلفِ القضبانِ
لا أعرفُ أين تبدأ ..
لكنني أعرفُ جيداً أنها تناديني باسمي الحقيقي

ذاك الاسمُ
الذي لم تكتبه الخرائط
ولا اعترفتْ به المدن
لكنه محفورٌ
في الذاكرةِ الأولى للروح.

هناك...
حيث لا زيت في الهواء
ولا غبار في الحلم
أريد أن أرى ربيعنا واقفاً بلا تأجيل
أن ألمس الحياة دون أن أُعاقب على ذلك
أن أكون إنسانةً لا احتمالاً مؤجَّلاً.

أريد أن أقول للعالم:
لسنا ظلالاً عابرة
نحن حكايةٌ لم تكتمل بعد
لكنها ما زالت تصر على أن تروى
حتى النهاية...
وما بعدها.

من أنا

من أنا...
حين يتكئ السؤالُ على صدري
كأنه آخرُ العابرين إلى المعنى؟

أنا ابنةُ النارِ والنور
لا كإجابةٍ جاهزة
بل كندبةٍ تضيء كلما أطفئت.

أعبرُ بينهما
كأثرِ احتراقٍ لم يكتمل
كغيمةٍ تعلمت أن تمطر وهي تشتعل
ولا تسقط.

روحي...
لا تقيم في الهدوء
تولدُ في كلِّ مرةٍ من رمادها
وتنهضُ وفي يدها ضوءٌ لا يشبه الطمأنينة.

حياتي ثورةُ احتراقٍ لا تنام ..
كلما قالوا: انتهيتِ...
فتحتُ في الرماد نافذةً جديدة
ودخلتُ أكثرَ يقيناً بالضوء.

أنا الفداءُ قبل الرحيل
أمشي إلى قلبي كمن يلقي بنفسه على الحياة
ولا يسألُ النجاةَ عن معناها.

صامدةٌ أنا...
كتمثالٍ في الميدان ..
تتعبُ حوله الريحُ ولا يتعب
لأنه لا يعرف أن يكون سقوطاً

بل شاهداً على ما سقط.

فليأتِ الرحيل...
وليأتِ موسمُ الحصاد والفراق
ولتضِعِ السفنُ بين الأمواجِ والرياح
أنا لستُ ما يبحث عنه في النهاية...
أنا الأثرُ الذي يبقى
حين تنتهي الطرق.

وَشْمُ اللَّيْلِ

سيلفا بوزان

الليلُ لا يهبطُ علينا... بل يكتبنا ببطءٍ ..
كأنه شاعرٌ أعمى يتحسسُ ملامحنا بالحبرِ والغياب.

يمررُ أصابعَهُ السوداء على جبينِ العالم
فيتركُ أثراً يشبهُ سؤالاً لم يجد جواباً
ويمنحنا أسماءً لا تشبهنا تماماً
لكنها تشبهُ ما خسرناهُ في الطريق.

كلُّ نجمةٍ
ندبةُ ضوءٍ لم يلتئم
وكلُّ ظلٍّ
اعترافٌ متأخرٌ بالوحدة.

أمشي...
فيتقدمُ الليلُ خطوةً في جسدي
كأنه يوشمُ قلبي بما لم أقله
ويكتبُ على صدري:
"هنا مرَّ الذين أحببتهم... ولم يعودوا."

وحين يكتملُ الوشم
لا أكونُ أنا...
بل صدى شابةٍ حزينةٍ
نسيها النهارُ على عتبةِ الفجر.

تصميم الغلاف: يشار أراغون